أبحاث ندوة عمارة المساجد، م ١ أ، ص ص ٩٧-١٣٦، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م)

الحرم النبوي الشريف:
نشوءه وتوسعاته وتأثيره على محيطه العمراني
قبل التوسعات السعودية

محمد بن عبد الله بن صالح

قسم العمارة وعلوم البناء، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود

الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث: بدأت مراحل بناء المسجد منظمة ومستمرة عندما حدد الرسول ﷺ مكان المسجد وثامن أهله قيمة الأرض ثم أمر بالموقع أن ينظف وأن يعد بشكل صالح للبناء، وأمر الرسول ﷺ باتخاذ اللبن فاتخذ وأسس المسجد بالحجارة وجعلت جدرانه من اللبن وسقفه من الجريد وأكثره غير مسقوف وجعلت أعمدته من جذوع النخل وعمل فيه بيده الشريفة هو وصحابته رضي الله عنهم.

أما كيفية البناء الهندسية فقد كان بناؤه لبنة ونصف أخرى، أي ما يسمى اليوم طوبة ونصف وأما ارتفاع الأساس الذي بالحجارة عن الأرض فثلاثة أذرع وما فوق ذلك فهو اللبن. وظل سقفه بالجريد ثم بالخصف فلما وكف عليهم أي خر عليهم في الأمطار طينوه بالطين. جاء في المراغي عن ابن النجار: لما سئل رسول الله ﷺ عن سر بنائه لمسجده بالصفة المذكورة أجاب بقوله: " عريش كعريش موسى وخشيبات والأمر أعجل من ذلك ".

والذي يظهر أن أصحابه رضوان الله عليهم كلموه في أن يقوي بناء مسجده بما هو أعظم من ذلك فأجابهم بجوابه آنف الذكر . وهذا قمة التواضع منه ﷺ.

لما بنى الرسول صلى الله عليه وسلم المسجد كانت قبلته إلى بيت المقدس وكان للمسجد ثلاثة أبواب باب بالجهة الغربية يدعى باب عاتكة وهو باب الرحمة وباب بالجهة الشرقية دعي باب عثمان فيما بعد وهو باب جبريل وباب بالجهة الجنوبية بحذاء القبلة إلى بيت المقدس.

بعد ستة أو سبعة عشر شهراً أُمر ﷺ أن يحول القبلة إلى الكعبة والتوجه إليها في الصلاة. وكان يهوى التوجه إليها من قبل أقام رهطاً على زوايا المسجد ليعد القبلة فأتاه جبريل عليه السلام وكشف له عن الكعبة بإزالة الجبال والشجر والأشياء التي تحول دون رؤية الكعبة. وقال: يا رسول الله ضع القبلة وأنت تنظر فوضع رسول الله أسس القبلة وهو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شئ فلما فرغ قال جبريل عليه السلام هكذا. فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها فصارت قبلته إلى الميزاب ولما تم تحويل القبلة على النعت المذكور سد الباب الجنوبي.

بقي المسجد ستة أعوام على حاله إلى السنة السابعة من الهجرة عندما زادت المدينة بمن سكنها ممن هداهم الله للإسلام فقال الصحابة لرسول الله ﷺ ورضوان الله عن صحابته الذين أعز الله بهم دينه: يا رسول الله لو زيد في هذا المسجد فلبى لهم ذلك.

كان البناء للمرة الثانية بشكل مربع (خمسون متراً في خمسين متراً) ولكنه لم يغير شكل بنائه بل كان البناء أيضاً باللبن والجريد وجذوع النخل إلا أن البناء في هذه المرة بالذكر والأنثى أي بلبنتين مختلفتين.

توالت بعد ذلك أعمال العمارة والتوسعة على أيدي الخليفتين الراشدين عمر وعثمان رضي الله عنهما، ثم في عهود الخلفاء الأمويين والعباسيين والسلاطين المماليك وفي عهد العثمانيين. و قد أُستعمل في توسعة الخليفة عثمان الحجر بدلاً من الطين، وخشب الساج بدل النخيل، وكذلك استعملت أساطين الرخام والفسيفساء والقباب في العمارات اللاحقة، وقد تضاعفت مساحة المسجد عشرات المرات عن أيام الرسول ﷺ.

المقدمة

قدم رسول الله ﷺ المدينة مهاجراً عام ٦٢٢م ، فأقام مسجده وبيته بجانبه. وبنى الصحابة رضوان الله عليهم بيوتهم حوله من الناحية الجنوبية والشرقية. كما انتقل الأوس والخزرج بعد دخولهم في الإسلام إلى جانب المسجد. وتكونت المدينة كوحدة متكاملة حول المسجد النبوي الشريف، ممثلة أول مدينة في الإسلام، وظلت عاصمة للإسلام طوال عهد الخلفاء الراشدين الثلاثة رضي الله عنهم قبل نقل العاصمة إلى الكوفة في عهد الخليفة الراشد علي ابن أبي طالب ﷺ فبعد الهجرة النبوية الشريفة ارتفع شأن المدينة المنورة عند العرب وخاصة بعد أن تم الصلح بين قبيلتي الأوس والخزرج على يدي الرسول ﷺ، فبدأت هذه المناطق تتحد حول المسجد لتشكل مدينة واحدة مترابطة وظلت مناطق السكنى الأصلية محتفظة بأسمائها كمنازل وبيوت لكل قبيلة ثم اتخذت فيما بعد أشكال أحياء في المدينة[١١] (شكل ١).

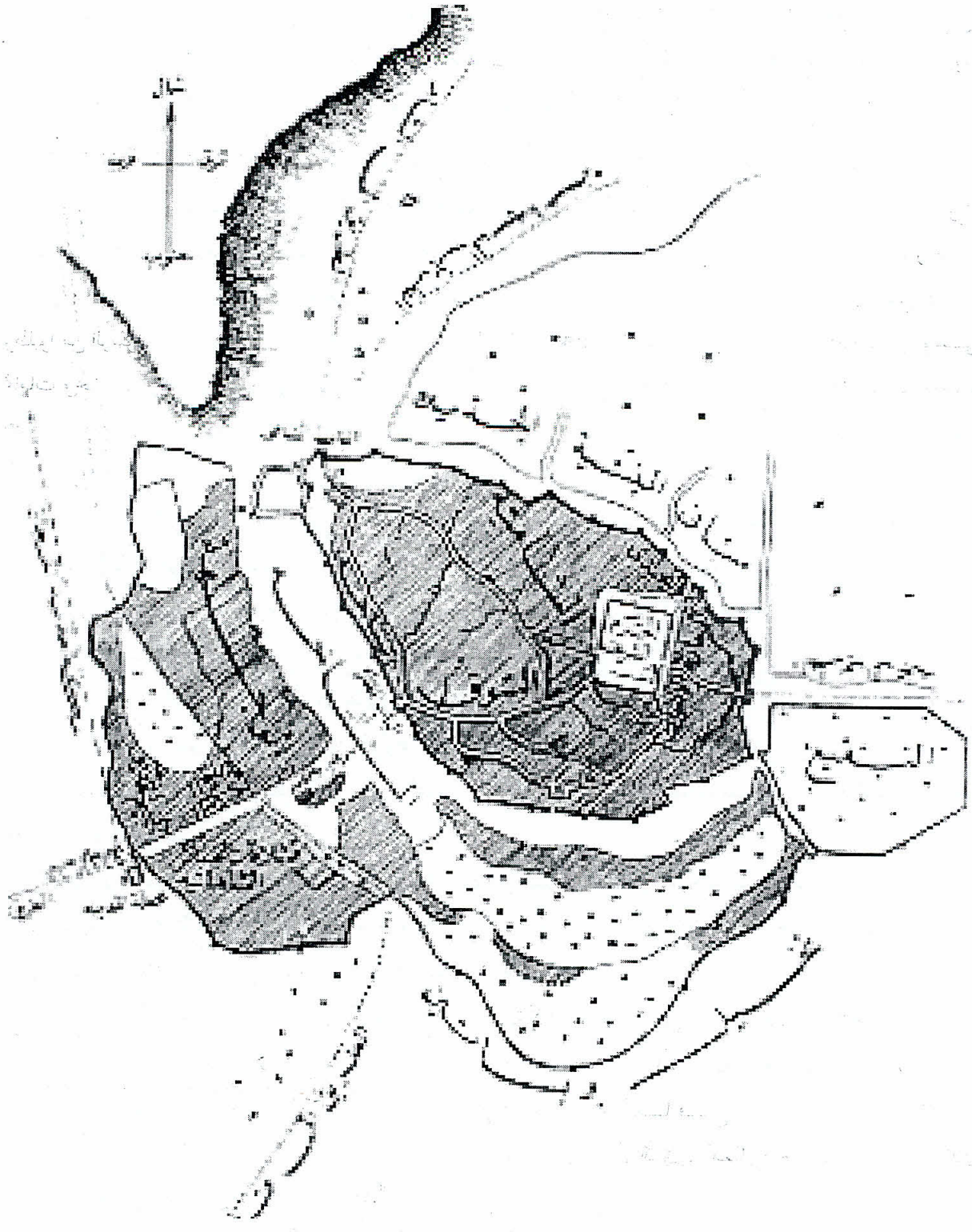
أهم تأثير للمسجد النبوي الشريف على المحيط العمراني للمدينة النبوية أن أصبح النواة الأساسية والعلامة المميزة لها ومن ثم بدأ تأثيره على المدن الإسلامية الأخرى.

نشوء وتوسعات الحرم النبوي

بناء المسجد النبوي آية اختيار موقع المسجد

عندما بركت ناقته ﷺ بركت في مكان أصبح فيما بعد باب مسجده، فقال رسول الله ﷺ: "هذا المنزل إن شاء الله"، ثم أخذ في الترول، فقال: ﴿وقل رب أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين﴾ [المؤمنون، آية ٢٩][١٢] وكان مربداً ليتيمين هما: سهل وسهيل ابنا رافع بن أبي عمرو بن عائذ بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، وكانا في حجر أسعد بن زرارة كما في صحيح البخاري عند أكثر رواته. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺأرسل إلى بني النجار بسبب موضع المسجد، فقال: "يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا"، فقالوا: "والله لا نطلب ثمنه إلا من الله" وفي رواية: فدعا بالغلامين وساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً. فقالا. بل نهبه لك يا رسول الله. فأبى أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجداً. وكان أسعد بنى المربد مسجداً قبل أن يقدم النبي ﷺ.

كان أول عمل قام به الرسول ﷺ هو أن اختار موقع المسجد وأول بناء عمله الرسول والمهاجرون والأنصار معه هو بناء مسجد قباء في طريق الرسول إلى يثرب، قبل مسجده ﷺ.[١٢]



شكل-١: المسجد النبوي الشريف والأحياء الملتفة به.

تجهيز الموقع: كانت الأرض غير مستوية وفيها نخل وخرائب وقبور وبعض المياه فبدأ الرسول ﷺ وأصحابه بقطع النخيل واستفاد منه في البناء كما أمر بتسوية الخرائب وتصفية الماء حتى تنشيف الأرض وتنظيفها ثم أمر بالقبور فنبشت وكانت قبور مشركين ثم أمر بتسوية الأرض حتى أصبحت صالحة للبناء.[٢]

أساس المسجد: وقد أرسى حيطان المسجد بالحجارة ثم بنى الجدران باللبن وجعل عرض الحائط لبنة. وقد طلب المسلمون من الرسول أن يُظلَّ المسجد مخافة الشمس فوافقهم على ذلك فأقام السواري (الأعمدة) من جذوع النخل ثم طرحت عليها العوارض الخشبية ثم وضعت على السقف خصف الجريد والأذخر، وجعل وسطه رحبة خالية وقد أصابت المسلمين الأمطار، فجعل السقف يوكف المطر على المصلين فاشتكوا إلى الرسول من ذلك وطلبوا من الرسول ﷺ (تطيين) السقف لحجز المطر عن المصلين فقال ﷺ : (نعم ابنوا لي عريشاً كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والأمر أعجل من ذلك) قيل فما ظلة موسى قال: كان إذا قام أصاب رأسه السقف) فقام الرسول وأصحابه (بتطيين) السقف وعمل الرسول ﷺ معهم وجعل رسول الله ﷺ قبلته ناحية بيت المقدس في هذا البناء الأول الذي بني قبل تحويل القبلة.

وقد جعل الرسول ﷺ للمسجد ثلاثة أبواب أحدهما باب أبي بكر وهو في الحائط الجنوبي جهة القبلة اليوم وذلك لأن القبلة كانت ناحية بيت المقدس ، وباب عاتكة ويقال باب الرحمة ، والباب الذي كان يدخل منه الرسول ﷺ في الجهة الشرقية وعندما غيرت القبلة سد النبي ﷺ الباب الجنوبي وقد كان ارتفاع السقف في هذه العمارة خمسة أذرع (٢،٢٥ متراً).[٢]

وروى ابن عائذ أن النبي ﷺ صلى فيه وهو عريش اثني عشر يوماً ثم سقف، وروى محمد بن الحسن المخزومي، ويحيى بن الحسن عن شهر بن حوشب قال: "لما أراد رسول الله ﷺ أن يبني المسجد قال: "ابنوا لي عريشاً كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والأمر أعجل من ذلك". قيل: وما ظلة موسى؟ قال: "كان إذا قام أصاب رأسه السقف.

وروى يحيى بن الحسن من طريق عبد العزيز بن عمر، عن يزيد بن السائب، عن خارجة بن زيد بن ثابت ﷺ، قال: "بنى رسول الله ﷺ، مسجده سبعين في ستين ذراعاً أو يزيد، ولبن لبنة من بقيع الخبخبة وجعله جداراً وجعل سواريه خشباً شقة شقة، وجعل وسطه رحبة، وبنى بيتين لزوجتيه".

عن مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ أقام رهطاً على زوايا المسجد ليعدل القبلة، فأتاه جبريل، فقال: "يا رسول الله ضع القبلة وأنت تنظر إلى الكعبة"، ثم قال بيده هكذا فانماط كل جبل بينه وبينها فوضع تربيع المسجد، وهو ينظر إلى الكعبة لا يحول دون نظره شيء. فلما فرغ قال جبريل بيده فأعاد الجبال والشجر والأشياء على حالها وصارت قبلته إلى الميزاب، فقال رسول الله ﷺ: "ما وضعت قبلة مسجدي هذا حتى رفعت لي الكعبة فوضعتها أمامها."

وكان للمسجد بعد تغيير القبلة ثلاثة أبواب باب المؤخرة وباب الرحمة والباب الذي يدخل منه الرسول الكريم وقد زاده الرسول في السنة السابعة من الهجرة ١٠ أذرع في الشرق و٢٠ في الغرب وزيدت أعمدة النخل واحداً في الشرق واثنين في الغرب.[٢] كما توجد الحجرة النبوية الشريفة التي تضم جسد رسول الله ﷺ وجسدي

صاحبيه الراشدين الصديق، والفاروق رضي الله عنهما والروضة المطهرة ومحراب صلاة التهجد ومقر أصحاب الصفة في عهد النبي ﷺ في الركن الجنوبي الشرقي من المسجد.

التوسعات التاريخية

التوسعة الأولى: سُنّة التوسعة

أما البناء الآخر للمسجد النبوي في عهد الرسول ﷺ فكان في السنة السابعة من الهجرة. وروى الطبراني عن أبي المليح أنه قال: "قال رسول الله ﷺ لصاحب البقعة التي زيدت في مسجد المدينة، وكان صاحبها من الأنصار، فقال النبي ﷺ: "لك بها بيت في الجنة". قال: فجاء عثمان، فقال له: لك بها عشرة آلاف درهم، فاشتراها منه، ثم جاء عثمان إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله اشتر مني البقعة التي اشتريتها من الأنصاري، فاشتراها منه ببيت في الجنة. فقال عثمان: إني اشتريتها بعشرة آلاف درهم، فوضع رسول الله ﷺ لبنة، ثم دعا أبا بكر فوضع لبنة، ثم دعا عمر فوضع لبنة، ثم دعا عثمان فوضع لبنة، ثم قال للناس: "ضعوا" فوضعوا.

كذلك ثبوت عمل ثمامه بن أثال ﷺ مع الرسول في البناء وكان إسلامه متأخراً وكذلك عمل أبو هريرة ﷺ معهم في بناء المسجد النبوي وورد ذلك في أحاديث كثيرة وهذا يدل على أن هذا البناء الذي شهده أبو هريرة وقع متأخراً لأن أبا هريرة ﷺ لم يسلم بعد الهجرة مباشرة وإنما اسلم متأخرا عنها والأرجح أن إسلام أبي هريرة ﷺ كان في السنة السابعة عام فتح خيبر وفي هذا البناء الثاني زاد الرسول ﷺ من مساحة المسجد فأصبح ١٠٠ ذراع في ١٠٠ ذراع أي (٥٠م × ٥٠م) وجعل أساسه من الحجارة وحيطانه من اللبن وزاد في عرض الحائط حتى أصبح لبنتين مختلفتين، وزاد في ارتفاع السقف فأصبح سبعة أذرع أي (٣،١٥ متراً) وقد عمل الرسول ﷺ مع أصحابه في جمع اللبن وكان قد وجه القبلة بنفسه على الاتجاه الصحيح نحو الكعبة وكان الرسول ﷺ يحمل اللبن في هذا البناء أيضا حتى ظن بعض الصحابة أنه تعب فأراد أن يحمله عنه فقال الرسول ﷺ: خذ غيره وكان الرسول ﷺ يرتجز مع الصحابة في البيت الذي يقول:

لا عيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وكان هذا الرجز مما يسلي العاملين في البناء من المهاجرين والأنصار وكان بعضهم يرتجز بالبيت القائل:

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

وآخرون منهم يرددون:

لا يستوي من يعمرا المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعداً

ومن يرى عن الغبار حائداً

وقد كان من اكثر الصحابة حماساً وعملاً في بناء المسجد عمار بن ياسر ﷺ، وقد دعا له رسول الله ﷺ بخير، وهو يعمل عمل رجلين حيث أنه يحمل لبنتين لبنتين بينما غيره يحمل لبنة لبنة، وإضافة إلى نشاط عمار في بناء المسجد فإن الصحابة كلهم اشتركوا في العمل كل حسب جهده وعلى رأسهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما. وكان هذا التطور في بناء المسجد تبعا لكثرة الداخلين في الإسلام ولزيادة عدد المصلين منهم مع رسول الله ﷺ

وللنشاط الإسلامي العام بعد فتح الرسول خير.وقد كان لرسول الله ﷺ توجيهات أثناء عملية البناء استفاد منها الصحابة رضي الله عنهم كما أخذ الفقهاء بعض الأحكام الفقهية مثل تقديم من يجيد العمل على من لا يجيده بصرف النظر عن تقوى كل منهما فقد وفد رجل من بني حنيفة إلى النبي ﷺ وكان الرجل ممن يحسنون خلط الطين وعمل مع الصحابة في المسجد فأخذ الحنفي المسحاة وأخذ يعالج الطين ويخلطه والرسول ﷺ ينظر إليه ويقول إن هذا الحنفي لصاحب طين. وروى الإمام أحمد ويحيى بن الحسن عن طلق بن علي ﷺ قال: أتيت رسول الله ﷺوهو يبني المسجد، والمسلمون يعملون فيه معه، وكنت صاحب علاج وخلط طين، فأخذت المسحاة أخلط الطين والنبي ﷺ ينظر إلي ويقول: "إن هذا الحنفي لصاحب طين." وكان يقول: "قربوا اليمامي من الطين فإنه أحسنكم له مسكا وأشدكم منكبا." وقد كان المسجد بسيطا وتم فرشه بالرمل والحصباء.

أدوات البناء

ومما لا شك فيه أن العرب في الحجاز قد عرفوا أدوات البناء بمختلف أنواعها فعرفوا المسحاة، والمكتل كما عرفوا الصافور وهى الفأس العظيمة التي لها رأس واحد دقيق تكسر لها الحجارة والمعول وهو الفأس العظيمة من حديد التي ينقر بها الصخر كما عرفوا العتلة وهي آلة من حديد كأنها عصا ورأسها رأس فأس ولا تزال تعرف وتسمى بالاسم نفسه حتى اليوم كما عرفوا اللبن وهو خليط الطين المربع على قوالب والمجفف بالشمس حتى يمكن حمله ووضعه بسهولة و(الملبن) هو القالب الذي يشكل به اللبن كما كانوا يجيدون خلط الطين.[٣] وقد كانت أدوات البناء متوفرة بكميات كافية للعديد من عمال البناء ويدل على ذلك ظهور هذه الأدوات حينما أراد الرسول ﷺ حفر الخندق حيث أن هذه الأدوات لكثرتها مكنت المسلمين من إنجاز العمل في ستة أيام فقط.

وبزيادته ﷺ لمسجده يكون قد سن لمن بعده الزيادة في المسجد إذا احتيج إلى ذلك. وظل المسجد النبوي في عهد رسول الله ﷺ غير مفروش، فاستحسن رسول الله ﷺ فرشه بالحصباء وكان يضاء في الليل بإيقاد سعف النخل فيه، وظل على ذلك تسع سنين تقريبا حتى قدم تميم الداري ﷺ إلى المدينة المنورة في سنة تسع من الهجرة وكان قد أحضر معه قناديل وحبالا وزيتا فعلق تلك القناديل بسواري المسجد وأوقدها فأضاءت المسجد فقال رسول الله ﷺ "نورت مسجدنا نور الله عليك."

وكان للمسجد جهة القبلة (بيت المقدس = الحائط الشمالي) ثلاثة أروقة بكل رواق ستة أعمدة (اسطوانات) وكان بمؤخر المسجد (بالجهة الجنوبية) صفة (ظلة) يأوي إليها المهاجرون الذين لا دار لهم ولا مأوى.[٤] وكان المصطفى ﷺ يأنس بهم وينادمهم إلى طعامه وشرابه فكانوا معدودين في عياله وكان الصحابة رضوان الله عليهم يأخذ الواحد منهم والاثنين والثلاثة فيطعمهم في بيته كما كانت تعلق لهم أقناء الرطب بين سارتين في المسجد فيأكلون حتى يشبعوا ويأتي غيرهم وهكذا وقد ذكر أسماءهم أبو نعيم في الحلية فزادوا عن المائة ومن اشهر أهل الصفة أبو هريرة – عبد الرحمن بن صخر – ﷺ فقد صور لنا معاناة أهل الصفة من الجوع وقلة الملابس وتكثير الطعام بين يدي رسول الله ﷺ مما يحسن الرجوع إليه في المصادر التاريخية.

وكان ارتفاع سقف المسجد يبلغ ارتفاع قامة الإنسان أي حوالي ثلاثة أذرع ونصف الذراع (حوالي ١،٧٥ متراً) وعمل باب في مؤخرة المسجد وباب في الحائط الغربي عرف بباب عاتكة ثم بعد ذلك وحتى الآن بباب الرحمة وآخر بالحائط الشرقي عرف بباب عثمان ثم بعد ذلك بباب جبريل وبلغ ارتفاع سور المسجد ٥- ٧ أذرع (٢،٥- ٣،٥ متراً) وقد أفاد بعض المؤرخين بأن حائط القبلة قبل التحول إلى الكعبة أُقيم من جذوع النخل مصفوفة.[٢]

حجرات زوجات النبي ﷺ: كان كل بيت عبارة عن مربع يبلغ طول ضلعه ٨- ٩ أذرع (٤،٠٠ - ٤،٥٠ متراً) سقفه يمكن ملامسته من الداخل - لعله كان بارتفاع أروقة المسجد وبه من الداخل حجرة طول ضلعها ٦- ٧ أذرع (٣،٠٠ - ٣،٥ متراً) صنعت حوائطها من أكسية من الشعر مربوطة في خشب عرعر (السرو) أي أن كل بيت له صالة مدخل صغيرة قبل الحجرة وكانت أبواب البيوت بحائطها الغربي شارعة في المسجد وبعد تحول القبلة من القدس إلى الكعبة في مكة يوم الثلاثاء ١٥ شعبان ٢هـ الموافق ١١ كانون الثاني يناير ٦٢٤م أُغلق الباب في الحائط الجنوبي وحل محله باب في الحائط الشمالي وعملت ثلاثة أروقة جهة الجنوب على غرار تلك التي بالجهة الشمالية واحتفظ بباب عثمان وباب عاتكة واستمر المسجد على وضعه هذا مع زيادة في عدد الحجرات حيث أفادت المصادر أن الرسول ﷺ كان كلما تزوج أقام بناء بيت، وقد أقام الرسول بيوت آخرها إلى الباب الذي يلي باب عثمان (باب جبريل) أي إلى باب النساء وهو باب أحدثه عمر بن الخطاب ومن المؤكد أن كل الحجرات كانت على الجانب الشرقي خارج المسجد بأبواب شارعة في المسجد وهذا كان السبب في أن الزيادات التي حدثت في المسجد كانت كلها جهة الغرب والشمال والجنوب وعندما توسع المسجد جهة الشرق في عهد الوليد بن عبد الملك على يد واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز هدمت البيوت.[٥]

وكان أربعة من هذه البيوت باللبن وسقف من جذوع النخيل وغطاء من الجريد والسعف عليه لياسة من الطين والبيوت الخمسة الباقية من جريد مطينة والباب عرضه يزيد عن ذراع (حوالي ٠،٦٠ - ٠،٧٠ من المتر) وارتفاعه ثلاثة أذرع (حوالي ١،٥٠م) عليها مسوح من شعر اسود ويتفق عدد الغرف مع عدد أمهات المسلمين حيث أن الرسول علية الصلاة والسلام كان له اثنا عشر زوجة -بعد وفاة السيدة خديجة- توفي منهن ثلاث خلال حياته.

ولم يشتمل المسجد النبوي على مئذنة ولا محراب مجوف فقد كان بلال يصعد إلى سطح منزل لأسرة من بني النجار لكونه أعلى منزل حول المسجد وإن كان هناك قول آخر بأن بلالاً كان يصعد إلى دعامة مربعة في دار عبد الله بن عمر في جنوب المسجد ويرفع الآذان من فوقها.

وقد أفادت المصادر المختلفة بعمل منبر للرسول ﷺ من خشب الأثل (Tamarisk) يتكون من درجتين ومقعد وذلك عندما شق القيام عليه ويرجح أن يكون ذلك في عام - ٩ هـ /٦٣٠م وكان عرض المنبر ذراعاً (حوالي ٠،٥٠ متراً) وطوله ذراعين (حوالي ١ متراً) وارتفاعه ذراعين (حوالي ١ متراً) وقد اختلف حول اسم الصانع فبعض المصادر ترجع الفكرة إلى تميم الداري وآخرون يرون أن الصانع هو غلام العباس بن عبد المطلب.

مآذن المسجد النبوي الشريف

وكان المصطفى ﷺ قد أهمه أمر الأذان فذكر بعض المسلمين أشياء يجمعون بها الناس للصلاة فقال بعضهم البوق وقال بعضهم الناقوس فينما هم على ذلك أتى إلى رسول الله ﷺ عبد الله بن زيد الخزرجي ﷺ فقال له إنه طاف بي هذه الليلة طائف مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوساً في يده فقلت له: أتبيع هذا الناقوس ؟ قال: وما تصنع به ؟ قال: قلت ندعو به إلى الصلاة قال: أفلا أدلك على خير من ذلك ؟ قال: قلت: وما هو ؟ قال تقول: الله أكبر الله أكبر إلى آخر الأذان فلما أخبر رسول الله ﷺ قال إنها رؤيا حق إن شاء الله فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فإنه أندى منك صوتاً فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب ﷺ وهو في بيته فخرج إلى رسول الله ﷺ يجر رداءه وهو يقول يا نبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأي فقال النبي ﷺ فالحمد لله فذلك اثبت. ولم يكن للمسجد النبوي الشريف في عهد المصطفى ﷺ ولا في عهد خلفائه الراشدين مآذن (منائر) يرقى المؤذن فيؤذن عليها. وكان بلال بن رباح ﷺ يؤذن للفجر من فوق بيت امرأة من بني النجار.[٦]

وذكر أهل السير أن بلالاً كان يؤذن على اسطوانة بدار عبد الله بن عمر رضى الله عنهما يرقى إليها على سبعة أقتاب (أي درج) بجوار المسجد النبوي الشريف.[٤]

مما سبق يتبين أن الحاجة إلى رفع الأذان من مكان عال دفعت المسلمين في المدينة المنورة إلى الانتقال بموضع الأذان من مستوى سطح المسجد إلى سطح أعلى المنازل المجاورة ثم إلى سطح المسجد النبوي الشريف فيما بعد مع بناء شيء يزيد من ارتفاعه ثم إلى اتخاذ المآذن على مختلف ارتفاعاتها.

المنابر في المسجد النبوي الشريف

قال النبي ﷺ "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي"ويعتبر المنبر تطوراً واضحاً من المنبر الذي اتخذه الرسول ﷺ في مسجده بالمدينة المنورة، فقد كثر المسلمون واتسع المسجد وأقبلت الوفود ترى متسابقة إلى رسول الله ﷺ لتسمع منه فتدخل في الإسلام وكان المصطفى ﷺ يستند إلى جذع نخلة أثناء خطبته إذا طال به الوقت.

وعن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يخطب إلى جذع فأتاه رجل رومي فقال: اصنع لي منبراً أخطب عليه. فلما قام يخطب حن الجذع حنين الناقة إلى ولدها فنزل إليه رسول الله ﷺ فضمه إليه فسكت فأمر به أن يدفن ويحفر له.

قال ابن النجار: طول منبر النبي ﷺ أي ارتفاعه ذراعان وشبر وثلاثة أصابع وعرضه ذراع راجح وطول صدره أي ارتفاع مسنده وهو مستند النبي ﷺ ذراع وطول رمانتيه اللتين كان يمسكهما بيديه الكريمتين إذا جلس شبر وإصبعان. وكان عثمان ﷺ أول من كسا المنبر قبطية.[٢]

التوسعة الثانية

جدد أبو بكر ﷺ مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نفس الهيئة واستبدل جذوع النخل القديمة جذوعا جديدة سنه ١٢هـ. أجمع المؤرخون أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ﷺ زاد في مسجد رسول الله ﷺ في عام سبعة عشر من الهجرة من الجهات الثلاث: الجنوبية والشمالية والغربية .فأدخل دار العباس بن عبد المطلب ﷺ في المسجد، وأبدل أساطينه التي من جذوع النخل من اللبن بأخرى، وسقفه بالجريد، وجعل له ٦ أبواب: بابين عن يمين القبلة وبابين عن شمالها وبابين خلفهما وبلغ ارتفاع الجدران ١١ ذراعاً. وقد اشترى عمر ﷺ ما حول المسجد من الدُّور وعوض أهلها من بيت مال المسلمين، وكان سبب التوسعة في عهد عمر بن الخطاب ﷺ إلحاح المسلمين عليه بذلك. وكان عمر بن الخطاب ﷺ أول من طيب المسجد بالطيب أي: بخّره.

وقد استعمل عمر ﷺ في التوسعة الجديدة، أعمدة من جذوع النخل، والطوب اللبن لبناء الأسوار، وعملت لياسة طينية فوق الأروقة الأربعة، وبلغ ارتفاع سقف المسجد ١١ ذراعاً (٥،٥٠متراً) وسمك السقف (جسور+ تغطية) ذراعان (١ متر) وعملت سترة للسطح بارتفاع ثلاثة أذرع (١,٥٠ متر) وبنى أساسه بالحجارة ، بارتفاع قامة الإنسان (١,٧٥ متراً).

استدعت توسعة عمر بن الخطاب ﷺ للمسجد النبوي الشريف أن يضم الدور التي كانت قريبة من المسجد ويدخلها فيه، فكان ﷺ يعرض على أهلها التعويض من بيت مال المسلمين لمن أراد البيع، ومن أراد أن يتصدق بداره على المسجد قبل منه ذلك وشكره على صدقته. فكان ممن تصدق بداره: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وأبناء أبي بكر الصديق ﷺ عن الجميع، فقد روى السمهودي في رواية ليحيى عن أبي الزناد: أن عمر بن الخطاب ﷺ لما زاد في المسجد، دعا من كان له إلى جانبه مترل، فقال: اختاروا مني بين ثلاث خصال: إما البيع فأثمن، وإما الهبة فأشكر، وإما الصدقة على مسجد رسول الله ﷺ، فأجابه الناس.[٧]

وروى السمهودي عن ابن سعد عن سالم أبي النضر قال: لما كثر المسلمون في عهد عمر ﷺ، وضاق بهم المسجد، اشترى عمر ما حول المسجد من الدور، إلا دار العباس بن عبد المطلب ﷺ وحجرات أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فقال عمر للعباس: يا أبا الفضل، إن مسجد المسلمين قد ضاق بهم، وقد ابتعت ما حوله من المنازل نوسع به على المسلمين في مسجدهم. فقال العباس: ما كنت لأفعل، قال: فقال له عمر: اختر مني إحدى ثلاث إما أن تبيعنيها بما شئت من بيت المال وإما أن أخطك حيث شئت من المدينة وأبنيها لك من بيت مال المسلمين وإما أن تصدق بها على المسلمين فتوسع في مسجدهم فقال: لا، ولا واحدة فقال عمر اجعل بيني وبينك من شئت فحكما أبي بن كعب فقص للعباس. والعباس بن عبد المطلب هو عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وداره كانت عزيزة عليه لأن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم خطها له بنفسه الشريفة وأقطعه إياها، بعد قدومه المدينة المنورة فجعل يبني داره وهو يرتجز ويقول:

بنيتها باللبن والحجارة والخشبات فوقها مطارة

يا ربنا بارك لأهل الدارة

والمصطفى ﷺ يقول: "اللهم بارك في هذه الدارة."

تحري عمر لوضع القبلة

لقد كان الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم ومن جاء بعدهم من السلف الذين قاموا بتوسعة وعمارة المسجد النبوي، يحترمون قبلة المسجد النبوي ويرون أنها وضعت بالوحي فهي مسامتة للبيت الحرام ولهذا لم يقدم أحد من الخلفاء والسلاطين والملوك على زيارة المسجد من جهة القبلة بعد عمر وعثمان رضي الله عنهما حتى وقتنا الحاضر. فلما أراد عمر ﷺ أن يضع مكان القبلة ويؤخرها إلى مكان جدار زيادته استعان بالصحابة رضوان الله عليهم ليشهدوا وضع قبلتهم.[٧]

وصف المسجد بعد التوسعة العُمَرية

كانت توسعة عمر بن الخطاب للمسجد النبوي الشريف مراعية ما عليه المسجد في عمارة الرسول ﷺ له، من مواد البناء والشكل الخارجي والداخلي حتى الأبواب والأعمدة وغيرها فقد أمر عمر ﷺ عند بناء المسجد باجتناب الزخرفة وإضافة الألوان الملفتة للنظر فقال عند بناء المسجد "أكن الناس من المطر، وإياك أن تحمر أو تصفر فتفتن الناس".

كما تم تحصيب أرضية المسجد بحصباء من وادي العقيق فقد روى عنه أنه قال: "ما ندري ما نفرش في مسجدنا، فقيل له: افرش الخصف والحصر، قال: هذا الوادي المبارك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "العقيق واد مبارك" قال: فحصبه عمر ﷺ من رمل وادي العقيق.

كما أدخل عمر بن الخطاب ﷺ المصابيح لإضاءة المسجد وكذلك بدأ في تجمير المسجد أيام الجمع ورمضان، وجعل له حصة من الطيب يجمر بها.

ومن أهم ما قام به عمر ﷺ في هذه التوسعة أن جعل في الجهة الشمالية الشرقية من المسجد النبوي الشريف بالنسبة لزيادته ﷺ البطيحاء: وهي برحة واسعة، حصبها بحصباء العرصة الحمراء وحمل الناس الذين يريدون التحدث في أمور الدنيا على الخروج إليها، رغبة منه أن يجنب المسجد اللغط، وحرصاً منه على أن تظل للمسجد هيبته ووقاره في قلوب المسلمين.[٨]

كما جعل عمر ﷺ للمسجد ستة أبواب، أي أنه أضاف ثلاثة أبواب جدد إلى الأبواب التي كانت في حوائط المسجد على عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأصبحت أبواب المسجد على النحو التالي:[٢]

١- الحائط الشمالي: بابان (أضيف باب مستجد).

٢- الحائط الشرقي: بابان، باب جبريل أو باب عثمان (واستحدث باب النساء).

٣- الحائط الغربي: بابان، باب الرحمة أو باب عاتكة (واستحدث باب السلام).

مقدار زيادة عمر ﷺ

لم يزد من الناحية الشرقية، إذ كانت بها بيوت أمهات المؤمنين وكُنَّ ما يزلن يُقمن فيها وفي بيت عائشة منها قبر النبي ﷺ وقبر أبي بكر ﷺ وقد دخلت دار أبي بكر في هذه الزيادة لوقوعها في الناحية الغربية. ويقال إن دار أبي

بكر ﷺ التي بالناحية الغربية خرجت من ملكه في حياته حين احتاج إلى شيء يعطيه الوفود فباعها لحفصة بنت عمر أم المؤمنين رضي الله عنها بأربعة آلاف درهم وإن جزءاً منها أُدخل في زيادة المسجد أيام عمر وأدخل جزء منها في أيام عثمان.

الشكل الهندسي في زيادة عمر ﷺ

لم يُحدث عمر بن الخطاب حين أنشأ هذه الزيادة في عمارة المسجد النبوي أكثر من أنه زاد في رقعته كما تقدم وزاد في عدد أبوابه.

فقد بنى الجدران كما بناها رسول الله ﷺ من قبل وجعل الأساس من الحجارة وما فوق من اللبن والعمد من الخشب والسقف من الجريد.[٩]

التوسعة الثالثة: المسجد النبوي الشريف في عهد عثمان بن عفان ﷺ ٢٤-٣٥هـ/٦٤٤-٦٥٦م

برزت الحاجة إلى توسعة المسجد النبوي الشريف وشكا الناس إليه ضيقة وما يعانونه من شدة الازدحام بالإضافة إلى تفتت بعض جذوعه. وروى أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت سواريه على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من جذوع النخل أعلاه مظلل بجريد النخل ثم إنها نخرت في خلافة أبي بكر ﷺ فبناها بجذوع النخل وبجريد النخل ثم إنها نخرت في خلافة عثمان ﷺ فبناها بالآجر. وفي هذه النصوص ما يدل على أن أهم الأسباب التي دفعت عثمان ﷺ بتوسعة المسجد النبوي الشريف هو ضيقه وسوء حالة أعمدته (سواريه) المقامة من جذوع النخل.[١٠]

الخطوات التي اتخذها عثمان في توسعة المسجد النبوي الشريف

الشورى

لما شكا الناس إلى عثمان ﷺ ضيق المسجد وطلبوا منه أن يزيد فيه رأى أن يستشير أهل الرأي من صحابة الرسول ﷺ قبل أن يفعل شيئاً فعرض عليهم الأمر وطلب منهم المشورة. وفي الصحيحين: لما أراد عثمان ﷺ بناء المسجد كره الناس ذلك وأحبوا أن يدعه على هيئته، فقال: إنكم قد أكثرتم وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول "من بنى مسجداً لله تعالى قال بكير حسبت أنه قال يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتاً في الجنة". لعل الذي كره الصحابة من عثمان بناؤه بالحجارة المنقوشة لا مجرد توسعته.[١١]

تجديد المسجد النبوي في عهد الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بتوجيهه

ولما آلت الخلافة إلى عثمان بن عفان ﷺ سنة أربع وعشرين من الهجرة كلمه الناس في أن يزيد المسجد النبوي وشكوا إليه ضيقه يوم الجمعة فشاور أهل الرأي من الصحابة في ذلك فأجمعوا على أن يهدمه ويزيد فيه فصعد

عثمان المنبر ليعلم الناس فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه: أيها الناس إني قد أردت أن أهدم مسجد رسول الله وأزيد فيه وأشهد لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من بنى مسجداً لله تعالى بنى الله له بيتاً في الجنة" وقد كان لي فيه سلف وإمام سبقني وتقدمني عمر بن الخطاب كان قد زاد فيه وبناه وقد شاورت أهل الرأي من أصحاب رسول الله فأجمعوا على هدمه وبنائه وتوسيعه."

الشكل الهندسي لزيادة عثمان

تطور عمران المسجد في زيادة الخليفة عثمان وفي تجديده للمسجد فهو لم يجدده باللبن و لم يجعل عمده من الخشب وسقفه من الجريد، بل جعل بنيانه من الحجارة المنقوشة والقصة (اللياسة) وجعل عمده من الحجارة المنقورة أدخل فيها حديد وصب فيها الرصاص ونقشها من خارجها. أما سقفه فقد جعله من الساج وتطور عثمان بهذا البناء فقد أحدث فيه فكرة المتانة والبقاء و لم يزد عثمان من ناحية المشرق لأن بيوت النبي ﷺ كانت ما تزال قائمة وكان من أزواجه من لا يزلن يقمن بها وكان أقرب هذه البيوت بيت عائشة الذي دفن به رسول الله وخليفتاه أبو بكر وعمر لذلك لم تكن الحجرة النبوية في المسجد و لم يكن به موضع معين آنذاك للروضة إلا ما حدده الحديث وبقي المسجد على تجديد عثمان إلى سنة ثمان وثمانين من الهجرة وذلك مما يدل على متانة بنائه في عهد الخليفة المذكور.[١٢]

طريقة الإنشاء

أما عن طريقة الإنشاء فقد اختلفت عن السابق، حيث حل الحجر محل الطوب اللبن، فبُني المسجد بالحجارة المنحوتة (المنقوشة) والجص (القصة) وبنيت أعمدته من الحجر المنحوت أيضاً وضعت بها قطع من الحديد مغطاة بالرصاص المصهور، وذلك لتثبيت حجارة الأعمدة مع بعضها، وقد وضعت الأعمدة الحجرية في نفس أماكن الأعمدة الخشبية، أما السقف فقد عمل من خشب الساج، محمولاً على جسور خشبية، ترتكز على الأعمدة، كذلك عملت رقة (بياض) على الحائط من الجص أيضاً وعمل بالحائط الشرقي والغربي فتحات (طيقان) يغلب الظن أنها كانت في الجزء العلوي من الحائط. وقد أمكن التعرف من خلال رواية خارجة بن زيد أن المشرف على البناء هو زيد بن ثابت. وقد احتفظ المسجد بالأبواب الستة التي كانت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ.

اتخاذ عثمان المقصورة

لم تعرف المقصورة في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. بل عُرفت بعد ذلك، فقد روى ابن شبة وابن زبالة: أن أول من عمل المقصورة بلبن عثمان بن عفان ﷺ وأنه كانت توجد كُوى (طاقات) ينظر الناس منها إلى الإمام وروى عن مالك بن أنس ﷺ أنه قال: لما استخلف عثمان بعد مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، عمل عثمان مقصورة من لبن، فقام يُصلي فيها للناس خوفاً من الذي أصاب عمر بن الخطاب ﷺ وكانت صغيرة.

التوسعة الرابعة

أمر الوليد بن عبد الملك عامله بالمدينة عمر بن عبد العزيز بإعادة بناء المسجد النبوي الشريف مع إدخال حجرات أمهات المؤمنين فيه ومن بينها حجرة السيدة عائشة رضي الله عنهن وقد أثر ذلك على أهل المدينة لحبهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وزوجاته، ويبدو لي أن رغبة الوليد في الزيادة لمسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت بسبب ضيق المسجد في عهده حيث ذكر أن المصلين استخدموا تلك الحجرات للصلاة فيها يوم الجمعة من كثرتهم وشدة الزحام بالمسجد وكانت تلك الحجرات من الجهة الشمالية والشرقية للمسجد النبوي الشريف.[٧]

و أفاد الطبري بأنه تم تعيين صالح بن كيسان للإشراف على الهدم والقيام بأمره والصرف على تلك الأمور وقدتم الهدم بواسطة عمال من المدينة المنورة ، أما عمال البناء فقد أرسلهم الوليد إلى المدينة في ربيع الأول سنة ٨٨هـ.[٦] في الوقت الذي كان عمر بن عبد العزيز قد انتهى فيه من هدم المسجد فبدأ بالبناء وعمل الأساس بالحجارة. ولما وصل البناء إلى جدار القبلة دعا عمر شيوخ المدينة من المهاجرين والأنصار والعرب والموالي وقال لهم: تعالوا احضروا بنيان قبلتكم، ولا تقولوا غير عمر قبلتنا فجعل لا يترع حجرا إلا وضع مكانه حجرا وذلك حرصا منه على تحديد قبلة المسجد كما فعل السلف من قبله.

الاهتمام بالجودة: اهتم عمر بن عبد العزيز بسواري المسجد، وأمر بأن يجعل أسفل السواري ما يستر رجلين من المصلين ويتسع لإسناد اثنين من الجالسين إليها وجعل لسطح التوسعة ميزابا وهو أول من أحدث ذلك كما جعل لسطحه شرفات كما أمر مولى لحويطب -اسمه سعد- أن يكتب على جدار القبلة سورة الفاتحة، ومن سورة الشمس إلى آخر سورة الناس. وبلغ من حرص عمر ﷺ أنه كان يتفقد أعمال البناء بنفسه وكان يراقب العمال وهم يعملون بداخله وبخاصة العمال الذين كانوا يعملون الفسيفساء فيكافئ محسنهم ويعاقب مسيئهم، حتى كان العامل الذي يصنع شجرة كبيرة من الفسيفساء ويحسن عملها يعطيه ثلاثين درهما، حتى كان المسجد في أبهى صورة وأجمل منظر.[٧] وبنى عمر بن عبد العزيز في المسجد مقصورة ليصلي فيها الإمام وأبدع بناءها وجعلها من ساج وزخرف سقفها بالفسيفاء، حتى إن الوليد لما رأى سقف المقصورة وهو يتفقد المسجد بعد أن انتهى البناء قال لعمر: ألا عملت السقف كله مثل هذا فقال عمر: إذن تعظم النفقة جدا فقد أنفق على جدار القبلة وما بين السقفين خمسة و أربعون ألف دينار.[٨]

طريقة الإنشاء، استخدام السقف المزدوج

أما طريقة الإنشاء التي عمل بها عمر بن عبد العزيز فقد عمل الأساس من الحجارة وعمل الجدار من الحجارة المنحوتة (المطابقة) واستعملت النورة (الجير الكلس) والقصة (جص) وعملت الأعمدة من قطع الحجارة المنحوتة، ربطت مع بعضها بالحديد المغطى بالرصاص المصهور تحمل في أعلاها جسورا خشبية، ترتكز مباشرة على تيجان الأعمدة وتحمل الجسور سقفا من خشب الساج وكان للأعمدة قواعد مربعة وتيجان مذهبة وكسي عظم الأعمدة بطبقة من المادة التي تصقل وتلمع حتى تظهر وكأنها رخام أبيض.[٧] وقد كان للمسجد سقفان: أحدهما

فوق الآخر، فأما السقف السفلي فكان ارتفاعه ثلاثة وعشرون ذراعا (١١،٥٠متر) والعلوي على ارتفاع ٢٥ ذراعا (١٢،٥٠متر) ولعل الذين تولوا عمارة المسجد النبوي الشريف حرصوا على أن يكون له سقفان لمقاومة الأحوال الجوية في كل الحالات. كما كانت حوائط المسجد قوية وعريضة فقد بلغ عرض الحائط الغربي ذراعين إلا قليلا (حوالي ٩٥سم) وأما الحائط الشرقي فكان عرضه ذراعين وأربعة أصابع (حوالي ١١٠سم) وكان السبب في هذه الزيادة أن الحائط الشرقي كله في ناحية السيل ولقد تسبب هذا السيل في انهيار الحائط الشرقي ونجم عنه أن سقط جدار الحجرة الشريفة ولهذا جعلوا سمكه عند البناء أكبر من سمك الجدار الغربي.

أعمال التكسية

أما عن أعمال التكسية فقد أفاد ابن عبد ربه "وقد أخذ وجه السور القبلي من داخل المسجد بإزار من رخام من أساسه إلى قدر القامة منه (١،٧٥م) وكف (أي لف) على الإزار بطوق رخام في غلظ الإصبع (٢سم) ثم فوقه إزار دونه في العرض، مخلق بالخلوق (عجينة ذات رائحة طيبة لونها أحمر) ثم فوقه إزار مثل الأول (١،٧٥م) فيه أربعة عشر بابا (يقصد شباكا) في صف من المشرق إلى المغرب في تقدير كوى (شبابيك) المسجد الجامع بقرطبة منقشة مذهبة ثم فوقه إزار رخام أيضا فيه صنيفة سماوية، فيها خمسة سطور مكتوبة بالذهب، بكتاب ثخين غليظ قدر إصبع (٢سم) من سور قصار المفصل، ثم فوقه إزار رخام مثل الأول الأسفل (١،٧٥م) فيه ترسة من ذهب منقشة وبين كل ترسين فيها عمود أخضر في حافاته قضيبان من ذهب ثم فوقه إزار رخام فيه صنيفة منقشة عرضها مثل عظم الذراع (٢٥سم) لها قضبان وأوارق من ذهب ثم فوقه إزار فسيسفاء عريض ثم السماوات (الأسقف) عليه والمحراب في موسطة السور القبلي على قوسه قصة من ذهب ناتئة غليظة في وسطها مرآة مربعة ذكر أنها كانت لعائشة رضي الله عنها.[١٣]

وقد أحدثت العمارة الأموية تغييرات في الحجرة الشريفة وكذلك في المنبر كما أدخلت عنصرين على المسجد لم يعرفا فيه من قبل وهما المئذنة والمحراب ونجمل ذلك توضيحا كما يلي:

الحجرة الشريفة

فأما التغييرات التي أحدثتها العمارة الأموية في الحجرة الشريفة، فقد بنيت جدرانها بالحجارة المنحوتة البازلتية و لم يعمل بها أبواب، وبني حولها مخمس الأضلاع وأضلاعه غير متساوية وكانت الجدران الخارجية المذكورة لا تصل إلى سقف المسجد ولكنها كانت أقصر منه بمقدار ذراعين (١ م) وكان لها شباك من خشب ووضع أعلى سقف الحجرة الداخلية مشمعا (وقاية لها من الأمطار) وكان الجدار الخارجي الغربي ملاصقا للجدار الداخلي والجدار الشرقي الخارجي بينه وبين جدار الحجرة مقدار (٥٠سم) من الجهة الشمالية ويضيق من الجهة الجنوبية (١٥سم) وجدار السور الجنوبي بينه وبين جدار الحجرة (٥٠سم) من جهة الشرق ويضيق من جهة الغرب حتى يصل إلى (٢٠سم) وأما جدار الحجرة الشمالي فكان بينه وبين رأس المثلث الناشئ من السور مقدار (٤م) وعلى سطح المسجد عمل سور في أعلى منطقة القبر حتى لا يتمكن أحد من السير عليه.[٧]

المنبر

وأما التغييرات التي أحدثتها العمارة الأموية في المنبر فقد، زيد في عدد درجاته ست درجات حتى بلغ تسع درجات وكان ذلك على يد مروان بن الحكم والي معاوية على المدينة وعمل للمنبر باب على هيئة شباك ويصف ابن عبد ربه المنبر إذ يقول: (المنبر على يمين المحراب في أول البلاط "الرواق") الثالث من المحراب (المحراب في حائط القبلة) في روضة مفروشة من الرخام محجوز به حولها وله درج وسمر أعلاه لوح حتى لا يجلس عليها أحد أي على الدرجة التي كان رسول الله ﷺ يجلس عليها وهو مختصر ليس فيه من النقوش ودقة العمل ما في منابر زماننا الآن.[٩]

المئذنة

وأما المئذنة (المنارة) فقد أحدثها عمر بن عبد العزيز في عمارة الوليد للمسجد النبوي الشريف فجعل في كل ركن من أركان المسجد مئذنة مربعة. قال كثير بن حفص: وكانت إحدى المنارات الأربع مطلة على بيت مروان بن الحكم (وهو منزل بني أمية عندما يأتون إلى المدينة ينزلون فيه) فلما حج سليمان بن عبد الملك أذن المؤذن فأطل عليه فأمر سليمان بهدم هذه المئذنة فهدمت حتى سويت بظهر المسجد.[٧] وظل المسجد النبوي الشريف بالمنارات الثلاث وحدد طول كل منارة بالتالي:[١٠]

- طول المنارة الجنوبية الشرقية خمسة وخمسون ذراعا (٢٧،٥م).
- طول المنارة الشمالية الشرقية خمسة وخمسون ذراعا (٢٧،٥م).
- طول المنارة الشمالية الغربية ثلاثة وخمسون ذراعا (٢٦،٥م).

وحدد عرض كل من المنارات المربعة بأنها ثمانية أذرع في ثمانية أذرع (٤م×٤م).[١٠] وظلت هذه المنارات الثلاث حتى عام ٥٨٠هـ عند زيارة ابن جبير للمدينة المنورة حيث وصفها بقوله: "وللمسجد النبوي الشريف ثلاث صوامع إحداهما في الركن الشرقي على هيئة صومعة والاثنتان في ركني الجهة الجنوبية صغيرتان كأنهما على هيئة برجين."[١١]

المحراب

ذكرنا فيما سبق أنه لم يكن للمسجد النبوي الشريف محراب مجوف لا في عهد المصطفى ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين من بعده وتشير النصوص الواضحة والصريحة والمؤكدة في المصادر التاريخية إلى أن المحراب المجوف الأول كان في المسجد النبوي الشريف في عمارة الوليد الأموية على يد عامله عمر بن عبد العزيز والي المدينة المنورة عام ٨٨-٩١هـ فقد جعل عمر بن عبد العزيز المحراب وشارك المسلمون في تحديد القبلة لدعوة عمر بن عبد العزيز إياهم "تعالوا احضروا بنيان قبلتكم لا تقولوا غير عمر قبلتنا" فجعل لا يترع حجرا إلا وضع مكانه حجرا.[١٢] ويعطينا ابن عبد ربه وصفا للمحراب وطريقة صنعته فيقول "قبو المحراب مقدر جدا وفيه دارات (حنيات) بعضها مذهب وبعضها حمري وأسود وتحت القبو صفة ذهب منقوشة تحتها صفائح من ذهب مثمنة فيها جزعة (عقيق)

مثل جمجمة الصبي الصغير مسمرة ثم تحتها إلى الأرض إزار رخام مخلق بالخلوق فيه الوتد الذي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتوكأ عليه في المحراب الأول عند قيامه من السجود وعن يمين المحراب باب يدخل منه الإمام ويخرج وعن يساره باب صغير مشطرج وقد سد بعوارض من حديد وبين هذين البابين والمحراب ممشى مسطح لطيف.[٩]

أبواب المسجد

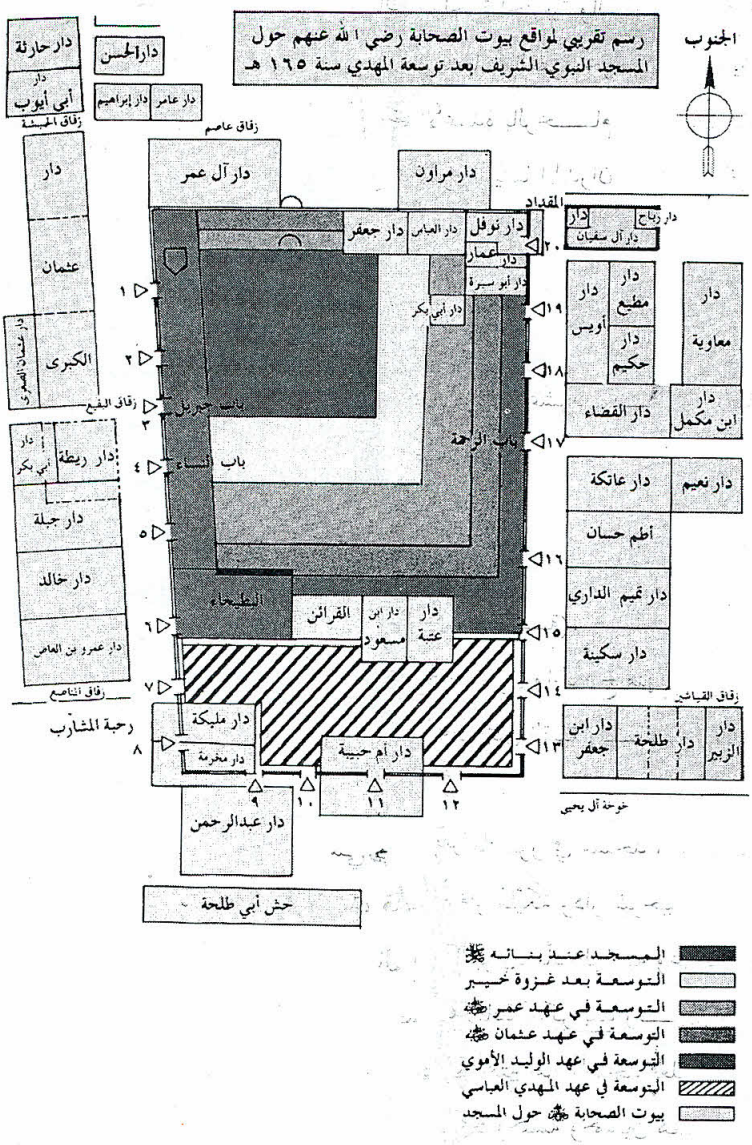
احتفظ المسجد النبوي الشريف بالأبواب الأربعة الرئيسية وهي: باب السلام وباب الرحمة بالحائط الغربي وباب جبريل وباب النساء بالحائط الشرقي إلى ما قبل مشروع توسعة وعمارة آخر الزيادات التي تمت في عهد الدولة الأموية والتي جمعت بين متانة العمارة وأناقة الفن المعماري الإسلامي البديع.

زاد الخليفة الوليد بن عبد الملك في مسجد رسول الله ﷺ من الناحية الغربية والشرقية والشمالية وكثير من المؤرخين يرى أن زيادة الوليد كانت من الناحية الغربية فقط. كما أدخل دور زوجات الرسول ﷺ في المسجد. فبنى الوليد المسجد من الحجارة المنقوشة، وجعل سواريه من الحجارة المطابقة، وخشبت بالحديد والرصاص، وزخرف حيطانه.[٧]

التوسعة الخامسة: تظليل الحصوة

بقي المسجد النبوي الشريف على حاله بعد عمارة الوليد بن عبد الملك له عام ٨٨-٩١هـ والتي كانت العمارة الوحيدة في العصر الأموي. فلما تولى العباسيون أمر البلاد وآلت الخلافة إليهم هم أبو جعفر المنصور بتوسعة المسجد النبوي الشريف إلا أنه توفي و لم يزد فيه إلا أنه لما قدم قبل وفاته إلى المدينة المنورة عام ١٤٠هـ أمر بوضع ستور لصحن المسجد فوضعت على عمد لها لتقي الناس من حر الشمس فكانت الريح تدخل بينها وتسقطها على المصلين فأبدلها بستور أقوى موثقة بحبال أكثر متانة وبذلك يكون المنصور أول من قام بتظليل رحبة المسجد.[١٤]

الإشراف على التنفيذ: فلما تولى المهدي الخلافة وحج سنة ١٦٠هـ زار المدينة المنورة ورأى ما عليه المسجد النبوي الشريف أمر بالزيادة فيه وأزال المقصورة التي كانت فيه. وعهد المهدي ببناء هذه الزيادة لعبد الله بن عاصم بن عمر بن عبد العزيز، وعبد الملك بن شيب الغساني، فمات عبد الله بن عاصم فولي مكانه عبد الله بن موسى الحمصي وعين المهدي عامله على المدينة المنورة جعفر بن سليمان بن عبد الله بن عباس مشرفا على العمارة[٢] (شكل ٢).



شكل ٢: مراحل توسعات المسجد النبوي الشريف إلى عهد المهدي العباسي وتأثيرها على المحيط العمراني.

وبدأ العمل في التوسعة سنة ١٦١هـ بهدم زيادة الوليد الشمالية وأعادها مع زيادة قدرت بخمسة وخمسين ذراعا وأدخل تعديلات كثيرة على هذا الجزء من المسجد ونقشه بالفسيفساء وقد وجدت شواهد على ذلك في مؤخرة المسجد عند المنارة الشمالية الغربية وكذلك في الحائط الغربي القريب من هذه المنارة حيث شوهدت بقايا الفسيفساء . كما أمر المهدي بهدم المقصورة الأموية وخفض منسوب أرضيتها المنسوب أرضية المسجد . وقد احتوى المسجد بعد هذه الزيادة على ١٧ عمودا في الاتجاه الموازي لحائط القبلة و٢٨ عمودا في الاتجاه الموازي للحائط الشرقي والغربي وكان بالمسجد خمسة أروقة بالجناح الجنوبي (جناح القبلة) وخمسة أروقة بالجناح الشمالي وثلاثة أروقة بالجهة الشرقية وأربعة بالجهة الغربية.

أما الواجهات على الصحن فكان بالواجهة الجنوبية والشمالية ١١ عقداً وبكل من الواجهة الشرقية والغربية ١٩ عقداً وقد وضع في الجزء العلوي من فتحات العقود حواجز خشبية يغلب الظن أنها للحماية من الشمس واستخدم في هذه الزيادة الرخام فقد كسيت الأعمدة بالرخام وكانت على قواعد مربعة ورؤوسها مذهبة ومنقوشة بالفسيفساء في الجدران الشمالية والجنوبية بينما الجدران الشرقية والغربية فكانت بيضاء مقرنصة, وكانت مدة العمل خمس سنوات.

أبواب المسجد

جعل المهدي للمسجد النبوي الشريف أربعة وعشرين باباً موزعة كالآتي:[١٠١]

- ٨ أبواب في جدار الحائط الشرقي.
- ٨ أبواب في جدار الحائط الغربي.
- ٤ أبواب في جدار الحائط الشمالي.
- ٤ أبواب في جدار الحائط الجنوبي (القبلة).

وكانت أبواب الجدار الجنوبي مخصصة للدخول والخروج منها فباب يدخل منه الأمراء ناحية دار مروان وباب يسار القبلة يدخل منه إلى المقصورة وباب يمين القبلة (باب بيت القناديل) وباب في قبلة المسجد يخرج منه السلطان إلى المقصورة.[١٠١]

زاد الخليفة المهدي العباسي بن أبي جعفر المنصور في مسجد رسول الله ﷺ من سنة مائة وواحد وستين إلى عام مائة وخمسة وستين هجرية، فأدخل فيه دار مُلَيْكَة ودار شرحبيل بن حَسَنَة والباقي من دار القرّاء ودار المسْور بن مخرمة وكانت هذه الدور شمال المسجد النبوي، فأدخلها فيه وعوض أهلها، وزخرف المهدي المسجد بالفسيفساء. ومنذ ذلك الحين لم تجر للمسجد النبوي زيادة تُذكر بعد زيادة المهدي العباسي إلا أنه في سنة ستمائة وأربع وخمسين هجرية عندما شبّ حريق أتلف الكثير من المسجد فعلم الخليفة العباسي المستعصم بالله في بغداد بذلك فبادر بعمارة المسجد النبوي في عام ستمائة وخمسة وخمسين هجرية ولكن سقوط بغداد وقتل الخليفة العباسي حال دون إتمام عمارة المسجد.

الإصلاحات والتجديدات الأولى

قام خلفاء المسلمين بمصر واليمن بالتعاون على إعادة بناء المسجد النبوي وذلك دون زيادة فانتهت هذه العمارة في عهد الظاهر بيبرس ثم رمم الناصر محمد قلاوون سقف المسجد من الجهتين الشرقية والغربية وزاد رواقين في القسم الجنوبي. وفي عام ثمانمائة وأربعة وخمسين جدد جَقْمق بعض أجزاء سقف المسجد وتلا ذلك عدة تجديدات للسلطان الأشرف قايتباي.[١٨١]

حريق المسجد النبوي في المرة الأولى

وفي سنة أربع وخمسين وستمائة تُرك موقد المصابيح مشعلاً في مخازن المسجد النبوي فامتدت النار منه إلى ما حوله وتعلقت بحصر وبسط وأقفاص قصب كانت في المخزن فامتد اللهب إلى سقف المسجد وامتدت النار منه إلى المسجد كله فلم تبق منه على خشبة واحدة.

وكان أمير المدينة آنذاك الأمير منيف بن شيحة الحسيني فأقبل ومعه معظم أهل المدينة ليطفئوا الحريق المذكور فلم يقدروا على ذلك ولم يسلم من هذا الحريق سوى قبة كانت بصحن المسجد عُملت في القرن السادس الهجري لحفظ ذخائر الحرم مثل المصحف العثماني وبعض صناديق أودعت فيها هذه الذخائر أما عمد المسجد فبقيت قائمة كأنها جذوع النخل تتمايل إذا هبت الريح وذاب الرصاص من بعض الأساطين فسقطت.[٩]

المستعصم وأمير المدينة

كتب أمير المدينة إلى المستعصم بالخبر فاهتم المستعصم بذلك وأرسل الآلات مع الصناع ولم يبد رأيا فيما يصنعون فقد كان مهتما بصد التتار عن بغداد بعد أن استولوا على أعمالها لذلك اضطرب الصناع الذين بعثهم المستعصم وكذلك أهل المدينة واختلفوا ما يصنعون في الحجرة هل يذرون ما سقط فيها أو يرفعونه جميعا حتى يبلغوا سطح الأرض إلى التراب الذي فوق القبر الشريف وقد أنتهي رأيهم إلى ترك ما سقط مهابة لساكن الحجرة صلوات الله وسلامه عليه. قال السمهودي: إن الواجب في سلوك الأدب مع النبي العظيم هو إزالة ذلك عن قبره الشريف.[٢]

اشتراك الملك المنصور مع المستعصم

واشترك الملك المنصور نور الدين على بن الملك المعز عز الدين أيبك الصالحي بأن أرسل زيادة من المؤن واشترك أيضاً صاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف بن منصور بإرساله الأخشاب وقام أهل المدينة بإشراف الأمير منيف بن شيحة الحسيني يعملون في المسجد بما يستطيعون القيام به وفي أثناء ذلك تم استيلاء التتار على بغداد وقتلوا المستعصم ثم عزل صاحب مصر وقام فيها مملوك ابن الملك المظفر سيف الدين قطز المعزي وقتل هذا فيما دون السنة من ولايته. وكان لهذه الأحداث المتتالية أثر واضح في عمارة المسجد النبوي فكانت العمارة تتقدم حيناً وتتأخر وتسير على غير خطة مرسومة واستمر الإبطاء في هذه العمارة ست سنوات أي إلى سنة ٦٦٠هـ.[٧]

إتمام الملك بيبرس عمارة المسجد النبوي

لما تولى الملك الظاهر بيبرس البندقداري أمر مصر وكان ذلك في سنة ٦٦٠ من الهجرة جهز الأخشاب والحديد والرصاص وجهز الصناع وما يمونهم وأرسلهم بذلك كله إلى المدينة وصار يمدهم بما يحتاجون إليه من الآلات والنفقات حتى أتموا المسجد كما كان قبل الحريق ولم يزل على الإصلاح المذكور إلى أوائل دولة الملك الناصر محمد بن الملك المنصور بن قلاوون الصالحي.[٧]

إصلاح الملك الناصر محمد بن قلاوون للمسجد النبوي

ففي سنة ٧٠٥ من الهجرة أمر الملك ابن قلاوون بزيادة السقف وبقي المسجد على الإصلاح المذكور إلى سنة ٨٣١ هـ ثم طرأ خلل على زيادة ابن قلاوون فأمر الملك الأشرف برسباي بإصلاح ما حصل من خراب.[١٠] وفي سنة ٨٥٣هـ جدد الظاهر جقمق بعض سقف المسجد ثم في سنة ٨٧٩ هـ قام الملك الأشرف قايتباي بعمارة تناولت بعض سقف المسجد النبوي وعمده وجدرانه ومآذنه.

التوسعة السادسة: عمارة قايتباي الأولى للمسجد النبوي الشريف ٨٧٩-٨٨١هـ/١٤٧٤-١٤٧٥م

احتاج المسجد النبوي الشريف إلى عمارة كبيرة بدأت في عام ٨٧٩هـ إلى عام ٨٨٠هـ / ١٤٧٥-١٤٧٦م حيث هدمت العقود المطلة على الصحن بالجهة الشرقية وبالتالي سقف الرواق ثم أعيدت الأعمدة مع الرصاص كما تم هدم الحائط الشرقي من بعد المئذنة الشمالية الشرقية (السنجارية) من أساسه وأعيد بناؤه كما عملت إصلاحات في أساس تلك المئذنة وكانت الأعمال تسير وفق طرق جديدة للبناء والتعمير إذ عمل أساس الحائط بالطين (الطفلة) والجير (الكلس - النورة) والرمل وأصلح السقف في ذلك الجزء مع تكحيل الحجارة من الداخل والخارج بالجص (الجفصين) وقد أسند أمر العمارة إلى شمس الدين بن الزمن (شمس الدين محمد بن الزمن ، أقام المدرسة الزمنية بالمدنية المنورة ، تولى إصلاح وعمارة المسجد النبوي الشريف قبل وبعد الحريق عام ٨٨٦هـ / ١٤٨١م. توفي في نهاية عام ٨٩٧هـ ثم توقفت الأعمال لمدة عام لاختلاف الآراء حول تجديد الحجرة الشريفة، وبدأت مرة أخرى في جمادى الأولى سنة ٨٨١هـ ٢١ سبتمبر ١٤٧٦م فشرعوا بإشراف ابن الزمن أيضا في تجديد سقف الروضة المطهرة وقبة القبر النبوي فرفع سقف الروضة العلوي وبعض السقف غربي المنبر وكان الإنشاء الأول عبارة عن جسور خشبية ترتكز على دعائم حجرية أعلى تاج الأعمدة واستبدلت الجسور الخشبية بالعقود من الطوب المحروق (الآجر) على نمط عقود الصحن ونتج عن ذلك رفع سقف هذه المنطقة عن بقية السقف جناح القبلة مع وجود سقفين كما هو الحال في الأسقف الأخرى وأصلح السقف السفلي بالرواق الشرقي شرق القبر النبوي وسقف الرواق من باب وباب النساء وكذلك السقف السفلي أمام القبر النبوي بالجهة الجنوبية وكان عليه اسم الظاهر بيبرس كذلك أصلحت بعض أجزاء سقف الجناح الشمالي وقد استقر رأى مشرف العمارة على هدم السقف القديم للحجرة الشريفة واستبدال قبة صغيرة بها بنيت بالأحجار البازلتية وعملت قمتها من الحجر الجيري طمعا في متانتها ورفعوها حتى لامس هلالها السقف الأعلى للمسجد.[٧]

حريق المسجد للمرة الثانية

وفي سنة ٨٨٦ هـ انقضت صاعقة على مئذنة المسجد الرئيسية وانتقلت النار من المئذنة إلى سقف المسجد فالتهمته وتخطته إلى المسجد فتهدمت جدرانه وتداعت أكثر أساطينه واحترقت المقصورة والكتب والمصاحف و لم يسلم من الحريق إلا الحجرة النبوية والقبة التي بالصحن، الأمر الذي كان سببا لعدم وجود تلك العمارات السابقة.[١٠]

إصلاح ما أحدثه الحريق بأمر الملك قايتباي وتحت إشراف سنقر الجمالي

لما بلغ خبر الحريق الملك الأشرف قايتباي بمصر وجه الأمير سنقر الجمالي إلى المدينة ومعه مائة صانع وما يلزم للعمارة. فبدءوا بالمئذنة ووسعوا المحراب العثماني وجعلوا فوقه قبة أقاموها على رؤوس الأساطين التي حوله. وجعلوا على جدر الحجرة النبوية وفوق السقف الذي كان عليها قبة شادوا فوقها قبة أخرى أقيمت على الأساطين والدعائم التي زخرفوها وبنوا باب السلام بالرخام الأسود والأبيض وزخرفوه كما زخرفوا محراباً مجوفاً للرسول ﷺ وكان ذلك في دعامة أقاموها بين والقبر على حد مسجده الأصلي. وزخرفوا هذا المحراب بالرخام الملون وأعادوا ما سوى ذلك من بناء المسجد على صورة تأنقوا فيها غاية التأنق. واستمر الإصلاح الذي للسلطان قايتباي إلى ٩٨٠ من الهجرة وقد أنفق الملك قايتباي على العمارة المذكورة نحو ستين ألفاً من الجنيهات ويلاحظ أن قايتباي هو الذي عمر المقصورة وأدار عليها الشبك الحديد وكان تمام ذلك سنة ٨٨٦ هـ.

عمارة قايتباي الثانية للمسجد النبوي الشريف ٨٨٦- ٨٨٩هـ /١٤٨١- ١٤٨٤م

ظل المسجد النبوي الشريف محتفظاً بعمارة قايتباي الأولى التي جددها له ابن الزمن (معماري المسجد النبوي) في نهاية عام ٨٨١هـ /١٤٧٥م حتى فترة وجيزة حيث احترق المسجد كلياً مرة أخرى بسبب صاعقة أصابت المئذنة الجنوبية الشرقية (الرئيسية) وكان ذلك في ١٤ رمضان سنة ٨٨٦هـ ٥ نوفمبر سنة ١٤٨١م وعلى الرغم من أن السمهودي لم يكن موجوداً بالمدينة المنورة أثناء الحريق وخلال الفترة الأولى من إعمار المسجد النبوي الشريف لوجوده في مكة المكرمة التي سافر منها إلى مصر لزيارة أهله إلا أنه يعطينا وصفاً دقيقاً لأسباب الحريق وكيفية التغلب عليه وعملية الإعمار التي حصلت في المسجد حيث قطع زيارته وتوجه إلى المدينة المنورة ليشارك في عملية الإعمار.[٢]

ويشير السمهودي إلى انه لم يسلم من الحريق غير القبة الداخلية على القبر النبوي الشريف والتي عُملت في عمارة قايتباي السابقة واحترق المنبر والمقصورة وسقطت أكثر عقود المسجد وأعمدته وما بقي منها فهو آيل للسقوط.[٢]

وكتب إلى السلطان قايتباي في مصر في ١٦ رمضان ٨٨٦هـ / نوفمبر ١٤٨١م الذي هاله الأمر وأمر على الفور في الشهر ذاته بتنظيف المسجد من آثار الحريق كما أوقف الأعمال التي بدأ بتنفيذها في الحرم المكي الشريف آنذاك وسُيِّرت آلات العمارة الخاصة بها إلى المدينة المنورة وأرسلت مجموعتان من العمال:[٢]

المجموعة الأولى: تقدر بحوالي مائة صانع من البنائين والنجارين والنشائين والدهانين والحجارين والنحاتين والحدادين والمرخمين ومعهم المشرف على العمائر في مكة سنقر الجمالي وأخوه الأشرفي شاهين الجمالي.

المجموعة الثانية: تتكون من اكثر ثلاثمائة صانع حضروا من القاهرة مع مواد البناء اللازمة وهي بإشراف شمس الدين بن الزمن الذي اشرف على العمارة قبل الحريق.

وقد سبق بدأ العمل في إعمار المسجد النبوي الشريف على الفور بهدم المئذنة الجنوبية الشرقية (الرئيسية) إلى أساسها والحائط من باب جبريل بالجهة الشرقية إلى باب الرحمة بالجهة الغربية وأعيد بناء المئذنة على هيئة المآذن المملوكية وأعيد بناء السور وزيد في سمك الحائط عن السابق قليلاً وتوسع المحراب في حائط القبلة (المحراب العثماني) وعملت أعمدة جديدة في أعلاها عقود من الآجر تحمل أعلاها سقفاً من الخشب كما غطى الفراغ أمام المحراب بحائط القبلة وعملت له قبة وأضيف عمود آخر إلى الأعمدة الحاملة للقبة وعملت قبة كبيرة على دعائم من الحجر وعقود من الآجر على القبر النبوي الشريف ونتج عن ذلك ضيق الفراغ بين الحائط الخارجي الشرقي والمباني المستجدة ما استلزم زيادة المسطح بهذه الجهة بنحو عرض الجدار السابق وبقي باب جبريل في مكانه وأضيفت دعامتان للعمودين بالجهة الشرقية من الغرفة النبوية وغُطِيَ السقف بين الغرفة النبوية والحائط الجنوبي بقبة كبيرة حولها ثلاث قباب أخرى وبجوار هذه القباب والمئذنة الرئيسية عمل فراغ للإنارة والتهوية.

وعُمل للمئذنة المذكورة باب في الحائط الغربي بعد أن كان بابها الأول في الحائط الشمالي كذلك عملت قبتان أمام باب السلام داخل المسجد وكسي الباب المذكور بالرخام الأبيض والأسود وزخرف زخرفة بديعة وكذلك القباب أمامه من الداخل وعمل محراب في مكان المصلى النبوي وكذلك كُسِيَ محراب القبلة (المحراب العثماني) بالرخام الملون ووضعت مقصورة بشبابيك من النحاس كذلك عمل منبر ودكة من الرخام ووضعت دكة بالأروقة الشرقية بين باب النساء ومؤخر المسجد وأخرى بالأروقة الغربية بين باب الرحمة ومؤخر المسجد أيضا كما عملت خزائن بالحائط الشرقي بالإضافة إلى فتحات دائرية ومعقودة بالجزء العلوي من ذلك الحائط وبالحائط الجنوبي أيضا (حائط القبلة) وبني الجدار في منسوب الفتحات بالآجر بينما الباقي عمل من الحجارة البازلتية كان سبب عمل الفتحات هو أن العقود قد قللت من الضوء داخل الأروقة ثم سدت الفتحات في حائط القبلة ماعدا تلك التي في منطقة المحراب العثماني وعمل للفتحات قمريات بالزجاج عليها شبك من النحاس وقد سد الطريق المؤدى من خارج المسجد أما الشباك (خوخة عمر سابقاً) إلى الرواق الثاني من جهة حائط القبلة (قبو اسفل المسجد) وذلك في ذي القعدة سنة ٨٨٨هـ / ٤ ديسمبر ١٤٨٣م كذلك غطيت حوائط القبر النبوي الشريف وما حولها بالرخام. وقد بلغ ارتفاع سقف المسجد عن الأرضية ٢٢ ذراعاً (١١ متراً) وقد انتهت الأعمال في سقف المسجد في أواخر أكتوبر ١٤٨٣م وفي ذي القعدة ٨٨٩هـ / ديسمبر ١٤٨٤ م حضر بهاء الدين أبو البقاء ابن الجيعان ومعه الدهانون لدهان سقف المسجد باللازورد كما زود المسجد بالقناديل والثريات والمصاحف وخزائن الكتب. وعندما قاربت الأعمال على الانتهاء عمر السلطان قايتباي رباطاً ومدرسة ملاصقين للحائط الغربي للمسجد بين باب السلام وباب الرحمة وعمل مئذنة صغيرة عرفت بعد ذلك بمئذنة باب الرحمة.

وقبل الانتهاء من هذه الأعمال تبين بعد فترة وجيزة وجود شرخ في القبة العلوية للقبر الشريف وكذلك بالمئذنة الجنوبية الشرقية (الرئيسية) فهدمت القبة وأعيد بناؤها وهدمت المئذنة إلى أساسها وحفر حتى بلغ منسوب المياه وعمل لها أساس قوي بالحجارة البازلتية وهي المئذنة التي نراها اليوم وقد بلغ ارتفاع هذه المئذنة ١٢٠ ذراعاً (٦٠ متراً) وكان العمل في عام ٨٩١- ٨٩٢ هـ / ١٤٨٦- ١٤٨٧م واشرف عليه شاهين الجمالي.

وفي ١٩صفر سنة ٨٩٨هـ / ١٠ ديسمبر ١٤٩٢م أصابت صاعقة جانبا من هذه المئذنة (الرئيسية) تناثر منها بعض الحجارة وسلم المسجد من الخسارة وقد أمر السلطان قايتباي بإصلاح الأضرار التي أصابتها في ربيع الثاني ٨٩٨هـ / ١٨ فبراير ١٤٩٣م.

وقد كان المسجد النبوي الشريف بعد عمارة قايتباي الثانية له يحتوى على سبعة أروقة جهة القبلة أربعة أروقة بالجهة الغربية ثلاثة بالجهة الشرقية وأربعة بالجهة الشمالية.

وقد أضاف السلطان قايتباي إلى مساحة مسطح المسجد النبوي الشريف مائة وعشرين مترا مربعا.

وتعتبر هذه التوسعة خاتمة الأعمال في عهد الأشرف قايتباي بل في عهد دولة المماليك الجراكسة التي انتهت على يد العثمانيين سنة ٩٢٣هـ / ١٥١٧م.

السلطان سليم الثاني ابن السلطان سليمان والمسجد النبوي

وفي سنة ثمانين وتسعمائة من الهجرة عمره السلطان سليم الثاني وشيد به محرابا جميلا ويسمى هذا المحراب السليماني. وقد زين هذا المحراب بالفسيفساء المنقوشة بماء الذهب وكتب اسم والده على ظاهره بخط الثلث الجميل ويلاحظ أن بناء المحراب في زمن سليم الثاني والنقش عليه باسم السلطان سليمان وظاهر من ذلك أن ابتداء عمارة المسجد كان في زمن السلطان سليمان وبأمره ولذلك أحب ابن السلطان سليمان أن يذكر اسم والده بالكتابة على هذا البلاط في هذا المكان الشريف.[٧]

الإصلاحات والتجديدات الثانية

بعد توسعة قايتباي وعمارة المسجد لم تجر على المسجد زيادات بل كانت بعض الترميمات حتى توسعة السلطان عبد المجيد. مضت على عمارة المسجد النبوي ما يقارب على أربعمائة سنة بعد عمارة قايتباي بدون تجديد فآلت سقوف المسجد للخراب والسقوط فشق ذلك على أهل المدينة المنورة فأخبروا السلطان عبد المجيد رحمه الله، فأمر في عام خمسة وستين ومائتين ألف هجرية ببناء المسجد النبوي من جديد وعلى أحدث طراز فجهز المهندسين والخبراء والبناءين والحجارين بكل ما يلزم لذلك من المؤن والنقود والآلات.[٧]

التوسعة السابعة: توسعة السلطان عبد المجيد سنة ١٢٦٥-١٢٧٧هـ

فقد أجريت في عهده أكبر عمارة شهدها المسجد النبوي الشريف في العهد العثماني وما قبله حيث شملت المسجد كله، ماعدا الحجرة النبوية الشريفة والمحاريب الثلاثة والمنبر والمنارة الرئيسية. وقد استغرقت فترة البناء والتعمير اثنتي عشرة سنة من عام ١٢٦٥-١٢٧٧هـ/١٨٤٨-١٨٦١م وعن سبب العمارة ذكر البرزنجي أنه في عام ١٢٦٣هـ بعد ما مضى على المسجد النبوي الشريف ما يقارب أربعمائة عام على عمارة السلطان قايتباي سرى الخراب إلى بعض سقوفه وأعمدته وأصبح في حاجة إلى التعمير والتجديد الأمر الذي دعا شيخ الحرم (داود باشا) وأعيان المدينة المنورة الكتابة إلى السلطان عبد المجيد عن حالة المسجد وما به من تشققات وشروخ في جدرانه

وقبابه تشكل خطرا للسقوط في أي لحظة.[١٠١] واستجابة للالتماس المقدم من شيخ الحرم وأعيان المدينة المنورة سنة ١٢٦٣هـ تقرر إرسال أحد كبار رجال الدولة ومعه أحد المهندسين المتخصصين لفحص المسجد وتقديم تقرير شامل عنه وكان ذلك في عام ١٢٦٥هـ وقاموا بهذه المهمة وقد تأكد لديهم صحة ذلك. كما تأكد لديهم أيضا من خلال سقوط إحدى قباب المسجد في العام نفسه على زوار مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقضت عليهم. وبعد ذلك عادوا إلى الأستانة (استنبول) واطلعوا السلطان عبد المجيد على التقرير الذي يتضمن ضرورة العمارة والتجديد بالمسجد النبوي حيث أن حالته خطيرة لا تتحمل التأخير فعندئذ قرر السلطان عبد المجيد عمارة المسجد النبوي الشريف. وقد ذكر الشهري ١٤٠٢هـ أنه كان للسلطان ميل شديد إلى تجديد بناء المسجد النبوي الشريف على شاكلة مساجد استنبول المشهورة بفخامة البناء وعلو قبابها التي تعتمد على أربعة أكتاف فقط بيد أن هذا النوع من التسقيف يحتاج في واقع الأمر إلى تغيير موقع اسطوانات المسجد المشهورة مما حدا بالسلطان إلى العدول عن هذا الرأي. ومهما يكن فقد أنتدب مدير هيئة المباني الخاصة باستنبول (عبد الحليم أفندي) لتولي الإشراف على عمارة المسجد النبوي الشريف مصحوبا بالمهندسين والفنيين والبنائين والنجارين والحدادين ومواد البناء اللازمة وغيرها في بواخر عن طريق ينبع البحر وبعد وصولهم إلى المدينة المنورة في الأول من شهر رجب سنة ١٢٦٦هـ أخذوا في البحث عن جبل لاستخدام حجارته في بناء المسجد حتى اهتدوا إلى جبل قرب الجماوات في الجنوب الغربي من المدينة في منطقة آبار علي -ذي الحليفة بوادي العقيق- يقرب لونه من لون العقيق الأحمر، فقرروا صلاحيته وقطع الحجارة منه لبناء العقود والاسطوانات لأنه سهل في النحت وأجمل في اللون. فأقاموا عنده ورشا لنحت الحجارة وتسويتها حسب المقاسات المطلوبة للعمارة فمنها الأحجار الصغيرة والكبيرة والمتوسطة ومنها الاسطوانات قطعة واحدة وبعضها قطعتان وخصصوا الحجر الأسود لبناء جدران المسجد لقوته وصلابته وصنعوا من أجل نقلها إلى منطقة العمل بالمسجد عربات تجرها الدواب من آبار علي مرورا بالباب الشامي إلى شارع الساحة فباب الرحمة فدار الضيافة التي كانت تقع شمال المسجد حيث خصصت كمنطقة عمل. وقد جهزت هذه الطرق لنقل الأحجار احتراما لمشاعر سكان المدينة المنورة من حدوث ما يعكر صفوهم. وبعد ذلك بدءوا بهدم الظلة الشمالية من المسجد النبوي الشريف وفي تلك السنة حج (عبد الحليم أفندي) المشرف على العمارة فأدركته المنية في منى فمات بها سنة ١٢٦٦هـ مما أعاق العمل بعض الشيء وقد تولى الإشراف بعده مجموعة من المهندسين كان أولهم المهندس (محمد رائف باشا) الذي احتاج إلى فتح باب في السور الداخلي للمدينة مما يلي الشمال سماه باب المجيدي . وجريا على العرف المتبع في جميع مراحل بناء المسجد النبوي الشريف منذ تأسيسه حيث يقتضي الأمر ألا يعطل المسجد من أداء شعائر العبادة في أي وقت وتحت أي ظروف فقد اضطر المهندس المذكور إلى إجراء ترميم عام لجميع أنحاء المسجد تلاه بهدم قبة الصحن ثم شرع في استكمال هدم ما تبقى من سقف الظلة الشمالية . ووصف البر زنجي حالة المسجد النبوي قبل العمارة المجيدية له بقوله كان المسجد النبوي الشريف أكثره سقوفا على عبارات من خشب وعقود من الآجر وأساطين من الحجر الأسود المنحوت قطعا ململمة مصنوعة أنثى في ذكر بأعمدة الحديد مفرغا بينها الرصاص مضخمة بتلبيس الجص والنورة متقاربة بعضها من بعض. وقد أخذ موافقة السلطان عبد المجيد على بدء العمارة ببناء مكاتب للتعليم مؤلفة

من طابقين ومخازن للزيت خارج الجدار الشمالي للمسجد فتم ذلك وفتح بينهما باب عرف فيما بعد بالباب المجيدي.[١٤] ثم استكمل بناء الظلة الشمالية وأنتقل بعدها إلى الظلة الشرقية فهدم الجدار الممتد من المنارة الرئيسية إلى باب جبريل وأخرجه عن موضعه الأول بمقدار (٣،٢٥م) بقصد التوسعة بينه وبين الحجرة الشريفة ثم عزل (محمد رائف) وحل محله (بكير باشا) الذي وصل المدينة المنورة في ١٢٦٩/٨/١١هـ لاستكمال أعمال بناء المسجد فأتم بناء العقود والقبب من المنارة الرئيسية إلى باب جبريل وأتم مؤخرة المسجد ونقل أعمال البناء إلى الجانب الغربي من الصحن فهدم المنارة الواقعة في ركنه الشمالي الغربي (التشكيلية) ونصب الأعمدة في ثلاثة صفوف أقام فوقها العقود والقباب حتى وافاه الأجل في جمادى الأولى سنة ١٢٧١هـ. وخلال هذه الفترة زار المدينة المنورة بيرتون عام ١٢٦٩هـ[١٨] (شكل ٣).

فأعطى وصفا يوضح فيه حالة المسجد النبوي الشريف وهو تحت العمارة المجيدية آنذاك أجمل ذلك في النقاط التالية:[٧-١١]

١- المسجد النبوي الشريف متوازي الأضلاع به ساحة وسطى مكشوفة تسمى الصحن يحيط بها به له صفوف عديدة من الأسطوانات والأروقة.

٢- تعلو المسجد سقوف مقببة.

٣- الجناح الشرقي به ثلاث صفوف من الأعمدة والجناح الغربي به أربعة صفوف.

٤- الأعمدة بعضها مدهون ومزين بزخارف نباتية سوداء وحمراء.

٥- الجناح الشمالي ما زالت العمارة جارية به.

٦- المئذنة الشمالية الغربية (الخشبية) هدمت وأعيد بناؤها.

٧- باب السلام غطيت جوانبه بالرخام والقيشاني وبه كتابات مذهبة.

٨- يعلو منارة باب السلام مخروط ذهبي.

٩- تتكون منارة باب الرحمة من جزءين وتنتهي أيضا بمخروط.

١٠- يوجد أمام أبواب المسجد عدة درجات.

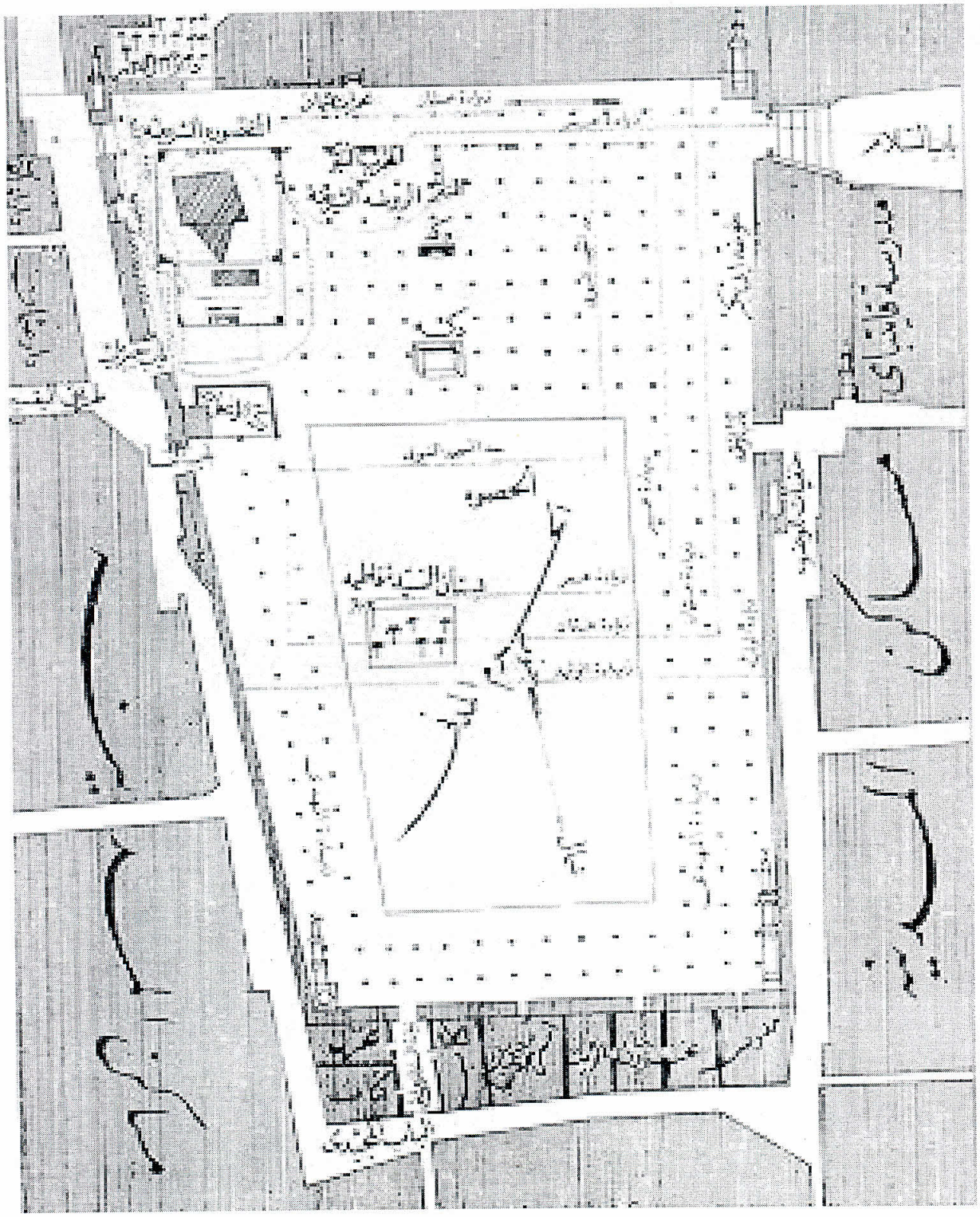
١١- وجود النوافذ بحائط القبلة ذات زجاج ملون.

١٢- وجود زخارف نباتية بارتفاع (١،٧٥م) في اسطوانات الروضة.

١٣- عدد المآذن خمس وتنتهي المنارات بشكل بيضاوي.

١٤- به سياج من خشب مربع الشكل يسمى (حديقة السيدة فاطمة).

١٥- يوجد بالصحن نخلات قديمة يباع ثمرها بأسعار عالية.



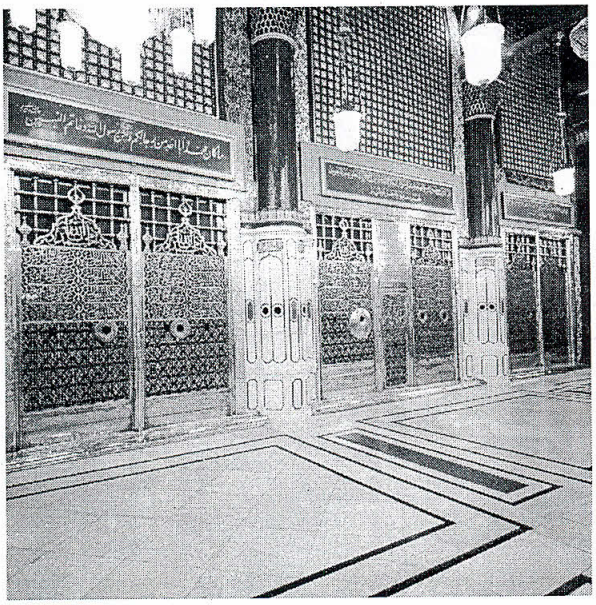
شكل ٣: مخطط العمارة المجيدية للمسجد النبوي الشريف والشوارع والطرق المؤدية إليه.

وبعد وفاة (بكير باشا) قام شيخ الحرم (دلاولا باشا) بالإشراف على استكمال ما تبقى من أعمال حتى قدم (أدهم باشا) إلى المدينة المنورة في ١٢٧٢/٢/٢٥هـ مشرفا على ما تبقى من العمارة فأتم بناء القباب والدكاك عند باب النساء وباب جبريل وقام بتوسعة بين الأساطين وبناء رواقين واستمر في إشرافه حتى وافاه الأجل في أواخر سنة ١٣٧٣هـ فأسند شيخ الحرم وبقية أعضاء لجنة الشورى المساندة لرئيس المشروع أمر الإشراف على سير العمل المهندس (صالح أفندي) فبدأ في إضافة رواقين إلى ظلة القبلة مما يلي الصحن . وبتوجيه من الباب العالي تقرر تجديد عمارة ظلة القبلة على الصفة التي بنيت بها أجزاء المسجد الأخرى مع ضرورة التقيد بنصب الأعمدة الجديدة في مواضعها القديمة لوجود ثمانية أعمدة (أسطوانات) من العهد النبوي ضمن الأعمدة المزمع تجديدها والمقدرة (١٤٣) عمودا فضلا عن أخرى تنسب لسيدنا عمر وسيدنا عثمان رضي الله عنهما وما عدا ذلك فلا حرج في التصرف فيه. وفي هذه الأثناء تم الاختيار من الآستانة (استنبول) للإشراف على ما تبقى من أعمال فوقع الاختيار على (راشد أفندي) فوصل المدينة المنورة سنة ١٢٧٤هـ بصحبة عدد من المهندسين فأكمل ما بدأه سلفه ونقل البناء إلى الجانب الغربي من مقدم المسجد وأتمه في اقل من عام ثم أوقف في ذي الحجة عام ١٢٧٥هـ لمعارضة أهل المدينة المنورة لبعض آرائه حول تغيير مواقع بعض الأعمدة . وأسند الإشراف إلى (أسعد أفندي عرياني زادة) وكان إذ ذاك حاجا في مكة المكرمة فلما أسند إليه التكليف أنتقل إلى المدينة المنورة في أوائل جمادى سنة ١٢٧٦هـ فشرع في إتمام بناء السقف العلوي القبلي في مدة بسيطة واستطاع المشرف الجديد أن يضمن استمرارية العمل وتفادي المنازعات التي أعاقت أسلافه عن مواصلة العمل وذلك بتوزيع المهام والمسؤوليات على المتخصصين واختياره الموفق لاشتراك بعض أهل المدينة المنورة في مجلس أنيط بأعضائه الحضور عند نزع الأعمدة والأحجار القديمة من مقدم المسجد النبوي الشريف ونصب الجديدة وإبداء الرأي ومناقشته أهل الخبرة بحضور شيخ الحرم (كما فعل السلف أثناء توسعة المسجد النبوي الشريف في عهد عمر بن الخطاب وأبي بكر وعثمان وعمر بن عبد العزيز رضوان الله عليهم) فأعدوا الأساطين في مواضعها الأولي من غير تغيير ووضعوا علامات يحددون بها المسجد النبوي الشريف على ما كان عليه في عهد الرسول صلى الله وآله وسلم وهذه العلامات هي:

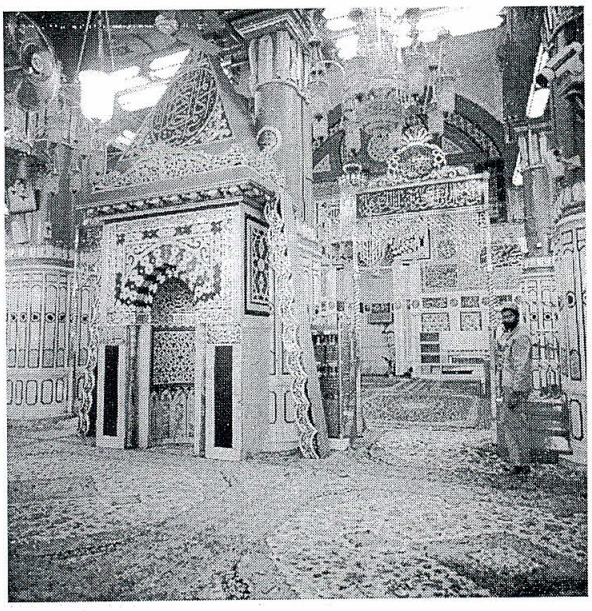
١- من جهة القبلة: الدرابزين المصنوع من النحاس الأصفر في نهاية الروضة الشريفة والذي عنده خزانات من الألمنيوم الأصفر توضع فيها المصاحف الآن.

٢- من جهة الشمال: بداية الصحن الأول الذي يلي المسجد المسقف وهناك اسطوانة تطل على الجهة الشمالية للصحن كتب عليها (حد مسجد النبي ﷺ) وهذه الجهة التي كتب أعلاها الحديث االشريف "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام".

٣- من الجهة الشرقية: جدار الحجرة الشريفة على يسار المتجه إلى القبلة وهو واقف بالروضة والجدار الذي بالروضة هذا ليس هو جدار الحجرة وإنما هو جدار المقصورة التي ضربت حول القبر الشريف في عهد السلطان قايتباي وبداخلها حائط الجدار الذي بناه عمر بن عبد العزيز رحمه الله ويليه ملاصقا له جدار الحجرة النبوية ولهذا يقول المؤرخون: إن جزءا كبيرا من الروضة قد ادخل في المقصورة (شكل ٤-٥).



شكل ٤: قبر رسول الله ﷺ وصاحبيه رضي الله عنهما.



شكل ٥: الروضة الشريفة ومحراب النبي ﷺ.

٤- من الجهة الغربية: الاسطوانة الخامسة قبل الجدار الغربي للمسجد وقد كتب على أعلاها عقد مموه بماء الذهب (حد مسجد النبي ﷺ) ويليها إلى الغرب اسطوانتان توسعة سيدنا عمر ﷺ ثم اسطوانة توسعة سيدنا عثمان ﷺ ثم اسطوانة وعقد إلى جدار المسجد توسعة الوليد رحمه الله.

ثم شرعوا في تكملة عمارة المسجد، وجعلوا بناءه أساطين تعلوها قباب وكانت بعض الأساطين قطعة واحدة بينما كان بعضها قطعتين وشيدوا عليها عقوداً نصف دائرية تقوم عليها قباب مختلفة الأحجام والتصميم ولكنها تتشابه في كل رواق في أكثر أروقة المسجد وجعلوا لها نوافذ وزخرفوها من الداخل وزينوها بصور الأشجار والأزهار وبنو جدار القبلة من الرخام الصيني المزخرف . وعملت الأعمدة من الحجر الأحمر وغطيت بطبقة من الرخام المزخرف بماء الذهب وحافظ المسجد على أبوابه الأربعة الرئيسية وزيد باب المجيدي في الناحية الشمالية وأقيمت المئذنة المجيدية في مكان المئذنة الخشبية. أما الجزء الشمالي المضاف ففيه صالتان تفتح على كل منهما أربع حجرات بين الصالتين سلم يصعد منه إلى ميضأة بالطابق الأول وتحت المسجد ميضتان والصالة الغربية بدون سقف بها مخازن الزيت والقناديل والحصر، أما الصالة الأخرى فكانت مدرسة (كتاب) لتعليم الصبيان تتكون من طابقين والأروقة شرق الصحن خصصت للنساء عمل حولها مقصورة من الخشب وكسيت قواعد الأعمدة بالنحاس الأصفر وتتميز العمارة المجيدية بالزخارف على أسطح القباب الداخلية وكذلك تذهيب المحاريب الثلاثة والمنبر وبالأعمدة الحجرية المطوقة بقواعد من النحاس الأصفر وبكتابة الآيات القرآنية وأسماء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على جدار القبلة وقد كتبت الآيات والنصوص والقصائد بخط الثلث الجميل وبماء الذهب البديع كتبها الخطاط التركي الشهير (عبد الله زهدي) وذكر البرزنجي أن أعمال الكتابة استغرقت ثلاث سنوات.

وجريا على المتبع عند إتمام كل عمل معماري فلابد من تثبيت نصوص تاريخية للعمارة في أماكن بارزة وقد طلب من السلطان عبد المجيد اختيار ما يؤكد إتمام العمارة في عهده من التواريخ والأشعار والنصوص لتنقش في الموضع الذي اختير بعناية في منتصف واجهة العقود المطلة من ظلة القبلة على صحن المسجد فاختار بالتشاور مع دار الفتوى نقش كلمة "قال رسول الله ﷺ" في الموضع المعد لنقش الطغراء المجيدية واتبعها بنقش نص الحديث الشريف "صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام".

وكانت الانتهاء من العمارة في شهر ذي الحجة عام ١٢٧٧هـ، وكلفت هذه العمارة مائة وأربعين ألف كيس ذهب, يحتوي الكيس الواحد على خمس ذهبات مجيدية كل ذهبة مائة وثلاثون قرشاً رائجاً آنذاك. وبلغ عدد العاملين من البنائين والنجارين والدهانين والحدادين والسباكين أكثر من ثلاثمائة وخمسين عاملاً عدا المهندسين والفنيين والمشرفين، وقدر مكتب مشروع الحرم النبوي الشريف زيادة السلطان عبد المجيد بنحو (١٢٩٣م٢)

وأصبح للمسجد النبوي الشريف بعد توسعة السلطان عبد المجيد خمس منارات هي:[٧-١١]

١- المنارة الشمالية الغربية: وتسمى التشكيلية والخشبية وتعرف بالمجيدية نسبة إلى السلطان عبد المجيد الذي جددها في عمارته وجعلها على رسم منائر الأستانة بثلاث شرفات ثم أزيلت في العمارة السعودية الأولى وبني بدلها منارة على أجمل وأحدث طراز.

٢- المنارة الشمالية الشرقية: وتسمى السنجارية وتعرف بالسليمانية وهي التي أقامها السلطان سليمان القانوني بدلاً من السنجارية وتعرف بالعزيزية لعمارة السلطان عبد العزيز خان بن محمود لها حيث بناها على هيئة المنارة المجيدية وجعل لها ثلاث شرفات وقد أزيلت هذه المنارة في العمارة السعودية وبني بدلا منها منارة على شكل بديع ورائع.

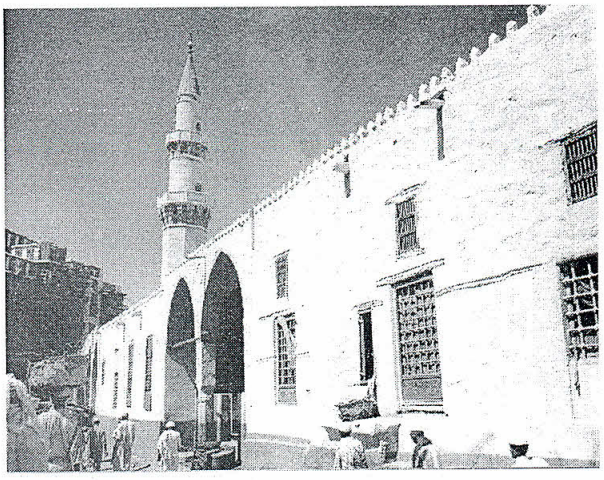
٣- المنارة الجنوبية الشرقية: وتعرف بالرئيسية وتحمل هذا الاسم حتى وقتنا الحاضر وهي المنارة المجاورة للقبة الخضراء وتقع في الركن الجنوبي الشرقي من المسجد -وهي المعروفة قديماً بالملائكة- ويعرفها الناس في وقتنا الحاضر بمهبط الوحي، وهي التي عمرها الأشرف قايتباي ثلاث مرات عام ٨٨٦هـ، ٨٨٨هـ، ٨٩٢هـ ونزل في أساسها إلى الماء واتخذ لها حجارة سوداء وزاد في طولها إلى ١٢٠ذراعاً (٦٠متراً) ولا زالت حتى الآن على عمارة قايتباي وتقوم الحكومة السعودية بتجديدها من وقت لآخر حتى تبقى في أجمل صورة وأروع منظر.

٤- المنارة الجنوبية الغربية : وتسمى منارة باب السلام وهي من عمارة الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٦هـ والذي بناها هو شيخ الخدام شبل الدولة كافور المظفري المعروف بالحريري وهذه المنارة لا زالت قائمة يزيد من الحفاظ عليها ما تبذله الحكومة السعودية من تجديدها من وقت لآخر للبقاء على رونقها وجمالها.

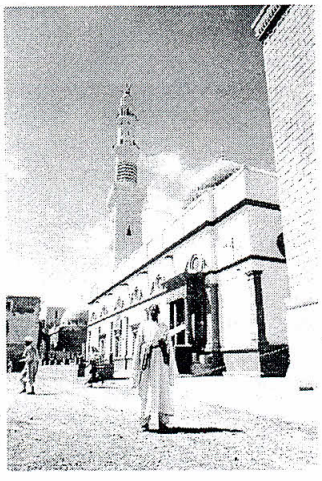
٥- المنارة الغربية: وتسمى منارة باب الرحمة بناها الأشرف قايتباي سنة ٨٨٨هـ وبُنيت خارج جدار المسجد النبوي الشريف ملاصقة للمدرسة المحمودية التي كانت هناك وقد أزيلت في العمارة السعودية الأولى (شكل ٦، ٧، ٨، ٩):



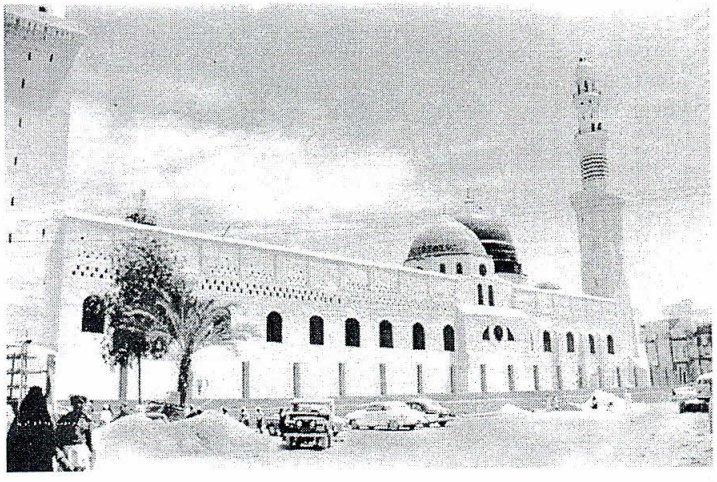
شكل ٦: شارع العينية المؤدي إلى المسجد النبوي الشريف.



شكل ٧: العمارة المجيدية للمسجد النبوي الشريف، واجهة ومئذنة.



شكل ٨: العمارة المجيدية للمسجد النبوي الشريف، واجهة ومئذنة أُخرى.



شكل ٩: العمارة المجيدية للمسجد النبوي الشريف، واجهة ومئذنة القبلة.

أُستخدمت في هذه العمارة الحجارة المنحوتة من جبل غرب وادي العقيق، وأُستبدلت القباب عوضاً من السقوف الخشبية وزخرفت هذه القباب بأصناف الصور الطبيعية وكتب بداخلها بعض الآيات القرآنية وكتب على الجدران بعض الآيات والأحاديث النبوية. كما أقيمت الأعمدة الحجرية تحمل عقوداً مزينة بالزخارف وتحمل العقود قباب المسجد وبُنيت في المسجد أربعة مآذن لا زالت اثنتان منها قائمتان حتى الآن بعد التوسعة السعودية إحداهما فوق باب جبريل وتسمى المئذنة الرئيسية والأخرى على باب السلام شُيدت العمارة بالعثمانية بكل عناية وإتقان وعلى أجمل فن من الفنون المعمارية ولا يزال منها بالمسجد بقسمه الجنوبي. وقد نُقشت جدارنه وسقوفه بزخارف بديعة وطُلي بالدهان الأحمر وبلغ عدد الأعمدة في العمارة العثمانية ٣٢٧ عموداً.

لقد أعيد بناء المسجد على الطراز العثماني وزينت حوائطه بالكتابات المذهبة وتميز المسجد بقبابه العثمانية وعقوده وما زال هذا الجزء باقيا بجماله ورونقه ويظهر متجانساً مع ما حوله رغم اختلاف الناحية الشكلية.

وكان للمسجد في التوسعة العثمانية خمسة أبواب غاية في الروعة والإبداع والإتقان، وبقي منها اليوم قائم بالذات بعد العمارة السعودية باب جبريل عليه السلام وباب الرحمة وباب السلام وباب النساء. بدأت العمارة العثمانية في عام خمسة وستين ومائتين وألف وانتهت في عام سبعة وسبعين ومائتين وألف من الهجرة.

الاهتمام بالمحافظة على أمكنة المسجد الأثرية

قام المهندسون بهدم جزء من المسجد وثم أقاموا مكانه ما يحل ثم أخذوا يهدمون بعد ذلك غيره ويعيدون تشييده حتى أتموا عمارة المسجد كله فيما بين سنة ١٢٦٥و١٢٧٧هـ وقد تناولت هذه العمارة المسجد بأجمعه ما عدا المقصورة وما فيها. وبدقتهم الأثرية ظل كل أثر في المسجد باقياً على عهده مثبتاً في مكانه. فقبلة المسجد النبوي الأثري مكتوب على محرابها هذا مصلى النبي والروضة المطهرة معلمة أساطينها بالبلاط الأبيض من النصف الأدنى كما أن الاسطوانات التي تحمل الأسهم الخضر الملونة بماء الذهب هي حدود المسجد النبوي للبناء الأول الذي بناه النبي ﷺ أما الأعمدة التي تحمل اللون الوردي والمكتوب أعلاها بماء الذهب هنا حدود المسجد النبوي فهذه الحدود تحتوي البناء الثاني الذي بناه رسول الله ﷺ أيضاً وزاد به في المسجد في المرة الثانية بعد فتح خيبر. ويلاحظ أن هذه الكتابة لحدود المسجد من جميع نواحيه ماعدا الناحية الشمالية أعني مكان الحصباء الملاصقة آخر المسجد العثماني فإنه لم يكتب شيء من تلك الجهة لأنه في زيادة الوليد تركوا جزءاً من حدود المسجد توسعة للرحبة التي فرشت بالحصباء.

أثر توسعات الحرم على البيئة العمرانية للمدينة المنورة

كانت يثرب قبل سنة ٦٢٢ م مجرد مجموعة من مناطق سكنية مستقلة، و لم تتحد هذه المناطق لتشكل مدينة واحدة مترابطة إلا بعد هجرة النبي ﷺ من مكة، ويبدو مع ذلك أن مناطق السكنى الأصلية ظلت محتفظة بأسمائها كمنازل وبيوت لكل قبيلة اتخذت فيما بعد أشكال أحياء في المدينة.[١]

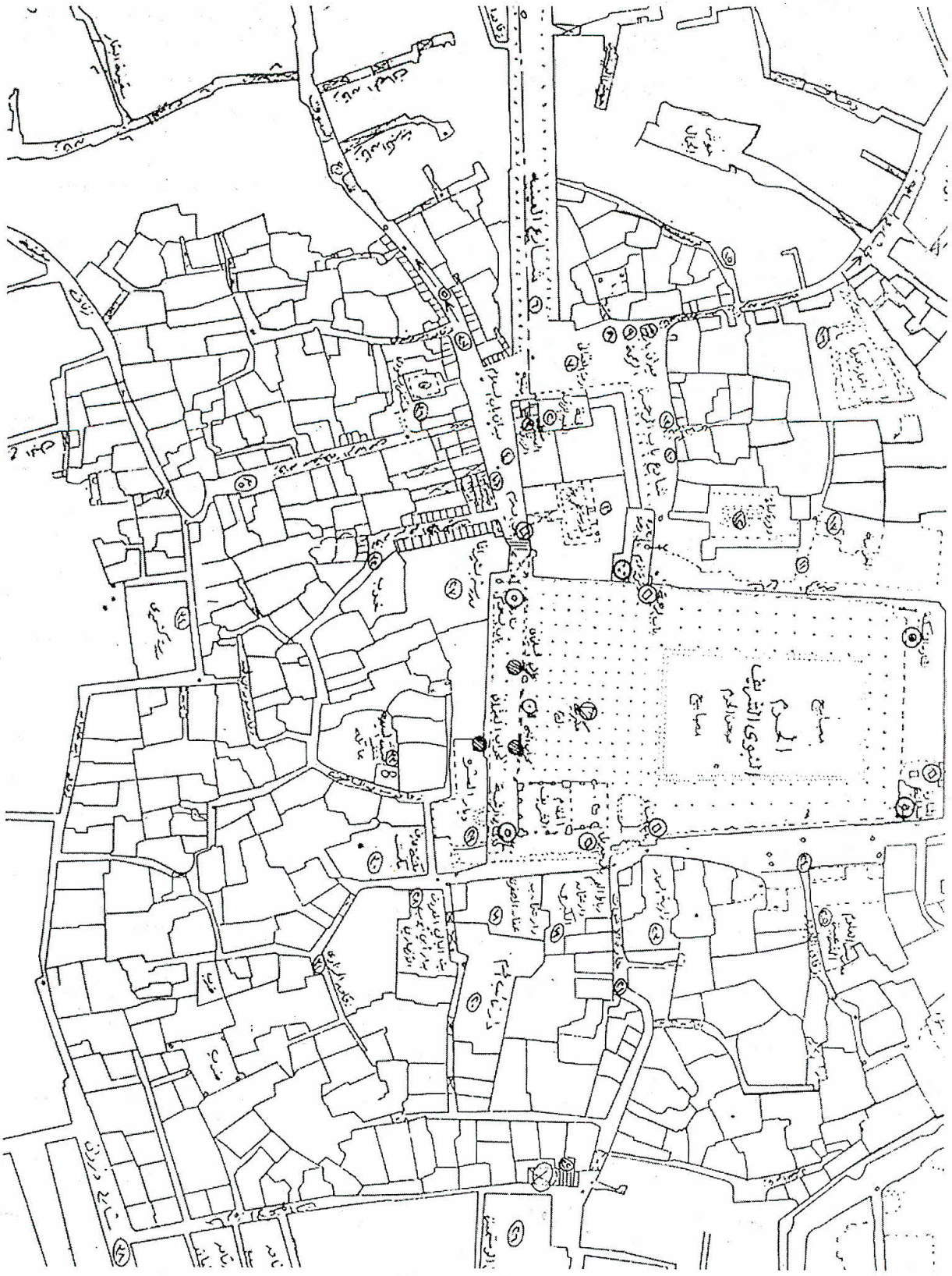
وحتى نرى كيف اتخذت عملية الاستيطان في المدينة المنورة شكلها النهائي، يستحسن أن نبدأ بتحديد موقع مسجد النبي ﷺ ومنزله. تروى كتب السيرة النبوية أن النبي ﷺ لما دخل المدينة لم يشأ أن يحدد بنفسه أين يستقر، فعرض له قبائل الأنصار كلهم يدعونه ويعدونه النصر والمنعة، وكان النبي ﷺ على ناقته والأنصار عن يمينه وشماله وخلفه وما يمر بدار إلا قالوا: هلم إلى العز والمنعة والثروة فيقول لهم خيراً ويدعو ويقول: إنها مأمورة خلوا سبيلها ولما أتت موضع المسجد بركت وهو عليها فأمر أن يحط رحله وأن يكون هذا المكان منزله. لقد كانت المساحة التي تحيط بموضع بيت النبي ﷺومسجده عبارة عن أرضٍ فضاء أو مستغلة استغلالاً طفيفاً. ومنذ ذلك الوقت وما تلاه أضحت المنطقة المخصصة للمسجد هي قلب المدينة، ويذكر البلاذري ت ٢٧٩هـ (٨٩٢م) فيما يتعلق بهذا الموضوع إن الأنصار وهبت للنبي ﷺكل فضل كان في خططِها.

توضح عملية النمو العمراني في المدينة المنورة مثلها مثل مدن الأمصار وبغداد وسامراء، أن هذه المدن قسمت إلى خطط كانت تُعطى للقبائل وكتائب الجيش والأفراد وأن هذه الخطط كونت أحياء المدينة الأصلية. ولقد ترك التقسيم الفرعي للخطط أو الإقطاعات لسكان الحي. ويجب ألا يدفع هذا إلى الاعتقاد بغياب قواعد خاصة بالتنظيم المكاني للخطة. إن هذه العملية بدأها النبي ﷺ نفسه في المدينة النبوية حيث اقطع الخطط للقبائل المختلفة والدور للأفراد. وبناء على تعليمات من عمر بن الخطاب ﷺ فإن هذه العملية قد استمرت في مدن الأمصار عبر قادة الجيش. لقد استقر المهاجرون الذين صحبوا النبي ﷺ من مكة، أو الذين وفدوا بعد ذلك في أراضي زراعية كانت مهجورة لم تشغلها منازل القبائل الأصلية، أو في أراض وهبها الأنصار للنبي ﷺ، ولقد اتخذت منازل القبائل والعشائر الوافدة حديثاً إلى المدينة المنورة طابع التكتل بحيث يتجمع أفراد العشيرة أو القبيلة معاً في منطقة واحدة، وينطبق ذلك حتى على المهاجرين الأوائل الذين سكنوا حول مسجد النبي ﷺ مكونين مجاورة سكنية واحدة أو أكثر[١١] (شكل ١٠-١١).

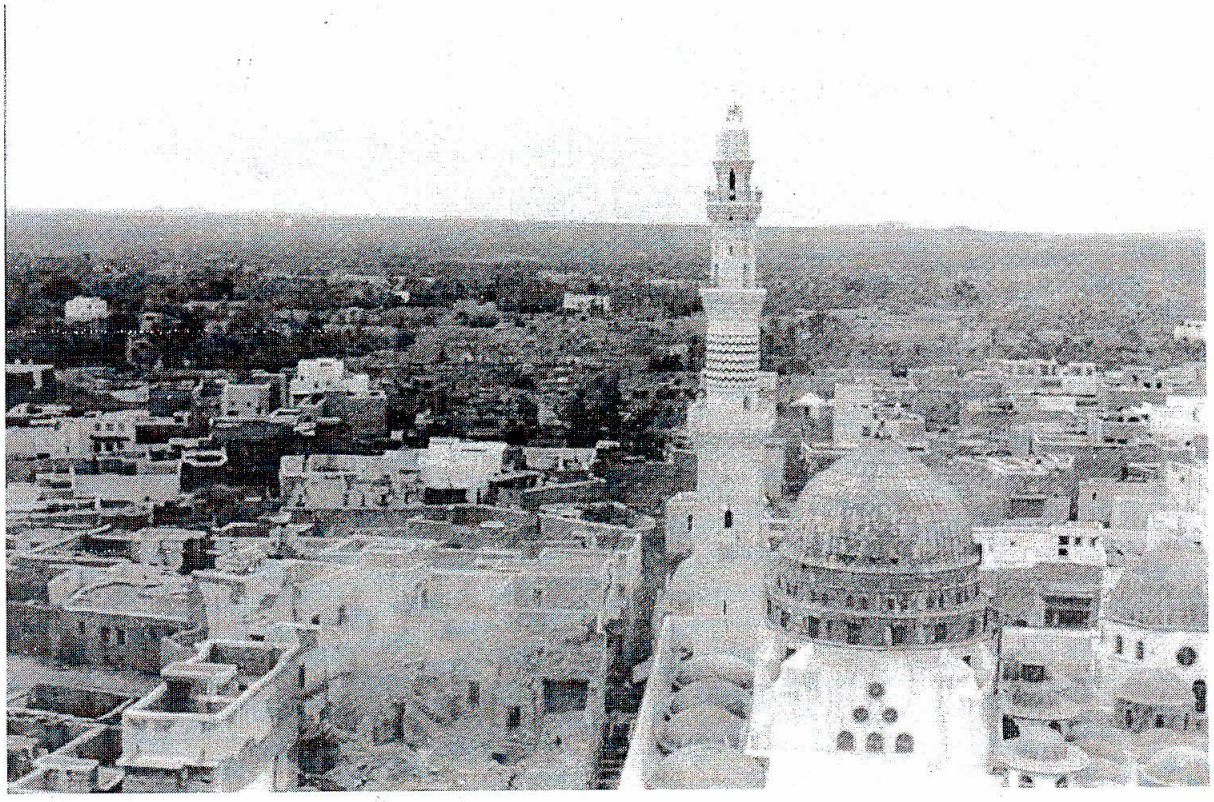
ويذكر السمهودي نقلاً عن البلاذري ت ٢٧٩هـ فيما يتعلق بهذا الموضوع، أن الأنصار وهبت للنبي ﷺ كل فضل (أي وهبت الأراضي الزائدة) كان في خططها.[١٢]

ويورد ياقوت الحموي ت ٦٢٦هـ (١٢٢٩م) في رواية عن الأراضي التي كان النبي ﷺ منحها، ما يعطي انطباعاً بأن النبي ﷺ أخذ على عاتقه المهمة الرئيسية لتوزيع الأراضي وتوطين الناس في المدينة.[١٣] يقول ياقوت: قدم الرسول ﷺ مهاجراً إلى المدينة فأقطع الناس الدور والرباع، فخط لبني زهرة في ناحية من مؤخر المسجد، وجعل لعبد الله وعتبة ابني مسعود الهذليين الخطة المشهورة بهم عند المسجد، وأقطع الزبير بن العوام بقيعاً واسعاً، وجعل لطلحة بن عبيد الله موضع دوره، ولأبي بكر الصديق موضع داره عند المسجد، وأقطع كلاً من عثمان وخالد بن الوليد والمقداد وغيرهم، مواضع دورهم، وكان رسول الله ﷺ يقطع أصحابه هذه القطائع، فما كان في عفائن الأرض فانه أقطعهم إياه، وما كان من الخطط المسكونة العامرة فان الأنصار وهبوه له فكان يقطع من ذلك ما شاء.[١٤]

ونص ياقوت هنا يدل على أن النبي ﷺ أقطع القطائع للقبائل والأفراد. وفي رواية ابن شَبَّه عن استيطان قبائل المهاجرين أوضح أنه كانت هناك إقطاعات من النبي ﷺ ويقول: "نزل بنو غفار ابن مليل بن ضمرة القطيعة التي قطعها لهم النبي ﷺ".[١٥] ويمضي ابن شَبَّه في وصف مواقع المنازل التي اقطعت لقبائل المهاجرين، وتعرض كذلك لمنازل مزينة ومن حل معها من قيس عيلان ومنازل جهينة وبلى ومنازل ابن جشم وبني كعب بن عمرو. ويتضح من رواية ابن شبه لمنازل المهاجرين ومنازل الأنصار بأن المدينة المنورة كانت في زمن النبي ﷺ منقسمة إلى أحياء، يقطن أفراد كل قبيلة أو عشيرة حياً واحداً.[١٦] و لم يذكر رواة منح الإقطاعات أي شيء عن كيفية تقسيم كل قطعة، ومع ذلك يبدو أن التقسيمات الفرعية داخل كل خطة كانت تترك للقبيلة نفسها وهذا هو ما فعله الزبير في خطته الكبيرة (بقيع الزبير)، حيث يعدد لنا ابن شبه ستاً من الدور في هذه الخطة كانت كلها لورثة الزبير.[١٦]



شكل ١٠: العمارة المجيدية للمسجد النبوي الشريف وتأثيرها على المحيط العمراني للمدينة.



شكل ١١: النمط العمراني التقليدي للمدينة المنورة المتمثل في تكتل المباني وضيق الشوارع والاتجاه نحو المسجد.

وفي ثنايا كلام ابن شَبَّه، عن سوق المدينة المنورة خلال حكم هشام بن عبد الملك ١٠٥-١٢٥هـ (٧٢٤-٧٤٣م) يشير إلى أن بعض المساحات في بقيع ابن الزبير كانت لا تزال في ذلك الوقت أراضي خالية، ويوضح هذا أن كل قبيلة أو عشيرة أو حتى الأفراد كانوا يقسمون خططهم تبعاً لاحتياجاتهم، وأنه ليس بالضرورة أن تكون كل خطط المدينة قد بُنيت خلال الفترة المبكرة.[١٦]

أما بالنسبة لما احتوت عليه كل خطة أو حي، فإن ابن شَبَّه عند تتبعه لأحياء المهاجرين يذكر وجود المساجد في عدد منها، ويروي بكير (ت ١٢٢هـ / ٧٤٠م) أنه خلال عهد النبي ﷺ كان بالمدينة المنورة تسعة مساجد إضافة إلى مسجده ﷺ، وأن هذه المساجد كانت تقام فيها الصلاة تبعاً لأذان بلال. ووفقاً لرواية بكير فإن هذه المساجد عُرفت بأسماء الأحياء التي فيها، ولما كانت هذه المساجد تقام الصلاة فيها إعتماداً على سماع آذان بلال فإن ذلك يدل على أن هذه المساجد كانت قريبة من مسجد النبي ﷺ وأنها كانت في المدينة الأساس.[١٦] وفيما يتعلق بمقابر كل قبيلة فيبدو أنها كانت قريبة من منازلها وذلك وفقاً للتقاليد القبلية، ولقد ظل هذا الإجراء متبعاً في المدينة حتى السنة العاشرة بعد الهجرة (٦٣١م) حين بدئ في تلك السنة باستخدام البقيع (بقيع الغرقد) الذي لا يزال مدافن أهل المدينة حتى اليوم، ومع ذلك فقد اختارت كل قبيلة بقعة خاصة بها في البقيع تدفن فيها موتاها.[٥]

ارتبطت توسعات الحرم النبوي الشريف منذ توسعة عمر بن الخطاب ﷺ لنشوء الحاجة لنزع الملكية للعقارات المحيطة بالحرم. وأمر نزع الملكية هو حق الدولة في تملك العقار الخاص خدمة للمصلحة العامة مقابل تعويض عادل. ويُلجأ لنزع الملكية في أوقات خاصة لتنفيذ مشاريع التوسعات للحرم النبوي الشريف ولضمان تطبيق الخطط الرئيسية الناتجة عن زيادة زوار المسجد.[١٧]

وقد لجأ الكثير من ولاة الأمر لنزع الملكية في الحالات التي اتضحت فيها خدمتها للمصلحة العامة كزيادة مساحة المسجد ومحيطه العمراني أو كحق المرور أو مد شبكات التجهيزات والمرافق العامة. ففي هذه الحالة تكون المنفعة العامة مقررة بشكل واضح، وعادة ما يكون الاعتراض في هذه الحالة حول موضوع التعويض. وقد لُجئ لنزع الملكية الخاصة في فترة الخمسينات من القرن الميلادي الحالي وما بعدها في حالات التجديد العمراني.

امتد العمران من جهتي الغرب والشمال الغربي مكوناً الكتلة العمرانية التي أحاط بها السور الداخلي وذلك في العهد المملوكي وحتى بداية العهد العثماني وقد توقف الامتداد جهة الشرق لوجود بقيع الغرقد في هذه الجهة.[١٨] وهو محاط بالسور الداخلي ويتصف بتراص البنيان وضيق الشوارع والطرقات وتعرجها، وندرة الميادين والساحات عدا عدد محدود من الأحواش والبرحات الصغيرة، وذلك نتيجة لوجود الحرم النبوي الشريف ضمن هذه الكتلة بالإضافة لتركز الأنشطة التجارية والثقافية والدينية حوله، وتزداد الكثافة السكانية في هذا الجزء من المدينة عن أي جزء آخر وترتفع المباني لثلاثة وأربعة طوابق، ويعتبر شارع سويقة محور الحركة التجارية الرئيسي الذي بين الحما والسوق الكائن بالمناخة خارج باب المصري.[١٨]

تميزت المدينة الإسلامية بالكتل البنائية المتراصة التي تحصر بينها فراغات عمرانية مفتوحة متنوعة المساحات، متصفة بالتكوين الطبيعي الذي يشبه الكائن الحي،كما ترتبط الكتل والفراغات بعضها ببعض مولدة الشعور بالتوازن بين الكتل المبنية والفراغات.[١٩] ونتيجة لهذا التنوع الملاحظ في الكتل برز نمط عمراني متجانس في مظهره العام،متباين في تفاصيله. ومن أهم خصائص المدن الإسلامية وضوح نظام الحركة الذي يبدأ من الطرقات المسدودة أو الأحواش، كما هو شائع في المدينة المنورة، وينتهي إلى مركز المدينة ماراً بسلسلة من الطرقات والشوارع ذات السعات المتدرجة.[٢٠] وقد نجح المسلمون بشكل عام في إعطاء جزء كبير من الفراغات العامة صفة الخصوصية الجزئية وشبه التامة، لذلك كان الناس يتمتعون في هذه الفراغات ببيئة داخلية محتواة بشكل يلائم احتياجاتهم المعيشية.

تتكون البنية العمرانية للمدينة المنورة من كتلة متراصة من المباني والمتاجر والمدارس والأربطة التي تُحيط بالمسجد النبوي الشريف الذي يحتل المركز، وتفضي الشوارع الرئيسية إلى أبوابه المتميزة ويمثل الحرم عنصراً مهماً ترتبط به جميع أجزاء المدينة كارتباط أجزاء الجسم بالقلب عبر طريق الأوردة والشرايين.[١٨]

ويقع الحرم في وسطه، وتتصف الكتلة العمرانية لهذا الجزء بأنها متراصة البنيان، ضيقة الشوارع والطرقات، تكاد تخلو من الميادين والساحات الفسيحة عدا عدد محدود من الأحواش الصغيرة. لذلك يظهر صحن الحرم النبوي بشكل واضح مشكلاً الفراغ الرئيس المفتوح. كما يتصف نمط الطرقات بالتعرج والانتهاء بطرقات غير نافذة ما عدا شارع العينية الذي فتح في مرحلة متأخرة باستقامة واضحة.

كان لوجود المسجد النبوي الشريف أثر كبير على تشكيل الخصائص المميزة للمدينة أبرزها الكثير من الرحالة.[٢١-٢٤] وفي بداية الدولة الإسلامية أصبح المسجد مزاوجاً بين البيئة المحلية التي انطلق منها الإسلام مع حضارات أمم مختلفة دخلت فيه، وهذا أدى إلى نشوء فن عمراني جديد هو مزيج بين الموروث والمكتسب ذو صبغة إسلامية.

وساعد على قيام الطابع الإسلامي ما كان من ظروف ترابط البيئة وقيام الخلافة الإسلامية التي كانت تمثل وحدة البلاد التي دخلت في الإسلام ودخلت من ثم إلى مرجعية الخلافة سواء كانت في المدينة المنورة أو الكوفة أو دمشق أو بغداد أو الأستانة أو غيرها إلى جوانب عوامل وظيفية كتماثل البرنامج المعماري في الجوامع كلها نتيجة للثوابت في الصلاة والقبلة.

الخلاصة

خلال العشرة سنوات الأولى من الهجرة النبوية المباركة دانت المدينة لأمر الرسول ﷺ، فكان ﷺ الحاكم والقائد والمرشد لتعاليم الدين الحنيف، وكان مسجده الشريف المركز الإداري والديني والتعليمي، فعلى بذلك شأنها وارتفعت مكانتها بين قبائل المنطقة وأصبحت العاصمة الأولى للدولة الإسلامية. وقد استمر ازدهار المدينة المنورة تحت إمرة الخلفاء الراشدين أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلى بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. حيث ازدادت رقعتها وكثر سكانها وجاءتها غنائم الفتوحات الإسلامية من جميع الأرجاء. و على الرغم من انتقال مركز الخلافة الإسلامية منها في السنة السادسة والثلاثين من الهجرة النبوية خلال خلافة الراشد على بن أبي طالب ﷺ، فقد احتفظت المدينة المنورة بمكانتها الدينية وحظيت باهتمام خلفاء الدولة الإسلامية وحكامها وكذلك كافة المسلمين في جميع أنحاء المعمورة، وانعكس ذلك في اهتمامهم في عمارة المسجد النبوي الشريف الذي هو أحد المساجد الثلاثة الذي لا يشد الرحال إلا إليه، وإلى الاهتمام برعاية شئونها العمرانية والاجتماعية. وحتى نهاية القرن الهجري الأول كانت حدود المدينة هي البقيع شرقاً ومسجد الغمامة غرباً.

فمنذ أن وضع الرسول ﷺأول مخطط لأول مسجد في الإسلام تركز النمو العمراني حوله وأصبح مركز المدينة الحضري ومنه انطلقت الدعوة إلى دين الله والتمسك بعروته الوثقى والتحضر وترك البداوة. وذلك عندما التف فيه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين حول المصطفى ﷺ. أنتقل هذا المخطط إلى كافة أصقاع الجزيرة العربية، وظل محافظاً على شكله دون أي تغيير جوهري، فقد كان مخططاً بسيطاً وحيداً يتوسط أحياء المدينة ويقرب شتاتها وهذا هو المعيار التخطيطي الأساسي للمسجد. أما التكوين المعماري للمسجد فهو مكونٌ من ثلاثة أروقة يستظل بها المصلون والمتعبدون، وفناء كبير، والمسجد ذو مداخل عدة ولا توجد به مئذنة أو محراب (شكل ٣). هذه مواصفات يمكن استنباط الكثير من معايير التصميم منها. إذ أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد وضع ثوابت في تصميم المسجد لا يمكن المساس بها من أهمها اتجاه القبلة لصفوف المسجد واستطالة شكله ومنبر يعلو عليه الخطيب أما المتغيرات التي لا تنطوي على محرم شرعي فقد أباحها علماء المسلمين. و لم يبتعد هذا المخطط الأصلي عن ملامحه العمرانية والمعمارية بشكل ملحوظ إلا في بلاد الشام وما بين النهرين ووادي النيل، حيث أتاح

تفاعل الحضارات المتنوعة مزيداً من التطوير والإضافات، فاختيار موقع المسجد(بيت الله) وحوله البيوت يشكل ضمناً النواة للعمارة الإسلامية لأن المسجد هو مكان تجمع المسلمين وتعاونهم على البر والتقوى. بينما بقي المسجد في شبه الجزيرة العربية أقرب ما يكون في تصميمه لشكل المسجد الإسلامي الأصيل، أي لمخطط المسجد النبوي الأصلي. فالمسجد التقليدي في بلدان شبه الجزيرة لا يزال مكوناً من فناء كبير مكشوف، وأروقة مفتوحة ومئذنة ومحراب. ومع ذلك يمكننا أن نلاحظ أن هذا المسجد الذي ظل محافظاً على أصالته المعمارية في بلدان شبه الجزيرة العربية طيلة أربعة عشر قرناً من الزمان، بدأ في الحقبة الأخيرة يقع تحت تأثير بعض الأساليب المعمارية الحديثة الوافدة، التي أخذت تحل بالتدريج محل الخبرة المعمارية التي توارثها المعماري المحلي وتناقلها أباً عن جد عبر القرون.

أدى مسجد الرسول ﷺ وظائف متعددة، حيث شمل دور المسجد كل أنماط الحياة الدينية والسياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية فقد جمع المسجد النبوي الشريف المركز الإداري والتعليمي والعسكري للدولة الإسلامية. و منه كان منطلق الأحداث الحاسمة التي رافقت جهاد أوائل المسلمين، يقودهم رسول الله ﷺ ومن تلك الأحداث غزواته ﷺ، وفتح مكة ومعظم التطورات التي وقعت وشارك المسلمون فيها بالرأي والموقف في رحاب المسجد الشريف، وفيه أيضاً أُتخذ قرارات خطيرة غيرت مجرى تاريخ العالم كله في ذلك الحين، إذ كان مقراً للحكم والإدارة أيام ثلاثة من الخلفاء الراشدين وملتقى لأهل الرأي والمشورة من كبار الصحابة رضي الله عنهم.

لقد كانت مداخل مسجد رسول الله ﷺ ومنزله نواة النمو العمراني للمدينة المنورة. وكانت المساحة التي تحيط بموضع بيت النبي ﷺ ومسجده عبارة عن أرض فضاء تُستغل من قبل ضيوف ووفود العرب التي رغبت في مقابلته صلى الله عليه وآله وسلم. ومنذ ذلك الوقت وما تلاه أضحت المداخل المخصصة للمسجد هي شرايين الحركة للمسجد الذي أصبح هو قلب المدينة. وعلى مدى السنوات العشر التي قضاها النبي ﷺ في المدينة المنورة نمت المدينة حول مسجده صلى الله علية وسلم نمواً سكانياً وعمرانياً لم تشهده يثرب من قبل.

استمر خلفاء الدولة الإسلامية وحكامها بالاهتمام بالمدينة المنورة وشؤونها الإدارية والعمرانية في صيانة وتوسعة المسجد النبوي الشريف وبناء المبرآت والمؤسسات الخيرية للزوار والمجاورين للمسجد.

ويحتل المسجد النبوي الشريف مكانة خاصة بين المساجد الكبرى في العالم أجمع، وهو المسجد الذي قال فيه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم "لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى." ومن هذا المنطلق الديني تطورت عمارة الحرم المدني وبات موضع الاهتمام والعناية من قبل الخلفاء والسلاطين والملوك الذين تعاقبوا على حكم الدولة الإسلامية.

المراجع

[١] إدريس، عبد الله بن عبد العزيز. *مجتمع المدينة المنورة وتنظيم القبائل سياسياً واجتماعياً في عصر الرسول محمد ﷺ*. رسالة ماجستير قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٣٩٩هـ.

[٢] السمهودي،علي بن أحمد. *وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى*. بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.

[٣] زيدان، محمد حسين. *ذكريات العهود الثلاثة*. الرياض: مطابع الفرزدق، ص ص ٢١-٢٤، ١٤٠٨هـ.

[٤] ابن هشام، عبد الله. *السيرة النبوية*. (تعليق طه عبد الرؤوف)، بيروت: دار الجيل ١٤٠٧هـ.

[٥] مصطفى، صالح لمعي. *المدينة المنورة، تطورها العمراني وتراثها المعماري*. بيروت: دار النهضة، ص ٢٢٩، ١٩٨١م.

[٦] ابن النجار، محمد بن محمود(ت:٦٤٣هـ). *الدرة الثمينة في أخبار المدينة*. قابله واعتنى به حسين محمد على شكري، المدينة المنورة: دار المدينة المنورة للنشر والتوزيع ١٤١٧هـ.

[٧] الوكيل، محمد السيد. *المسجد النبوي عبر التاريخ*. جدة: دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ.

[٨] السخاوي، شمس الدين (ت: ٩٠٢هـ). *التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة*. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٤هـ.

[٩] الحسيني، الشريف أحمد محمد صالح. *نبذة من تاريخ المسجد النبوي العمراني*. جده: مطابع شركة دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ.

[١٠] الأنصاري، محمد حسن عبد القادر. *عمارة وتوسعة المسجد النبوى الشريف عبر التاريخ*. المدينة المنورة: نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤١٦هـ.

[١١] الخياري،أحمد ياسين أحمد. *تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً*. جدة: مطابع مؤسسة المدينة للصحافة (دار العلم)، ١٤١٤هـ.

[١٢] بن موسى, على (١٣٩٢هـ). "وصف المدينة المنورة في سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م، رسائل في تاريخ المدينة." *منشورات اليمامة*، الرياض: ص ص ٣٧-٤٢.

[١٣] ابن عبد ربه، أحمد محمد. *العقد الفريد*. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ.

[١٤] البرزنجي، جعفر. *نزهة الناظرين في مسجد الأولين والآخرين*. بيروت: دار صعب، ١٣٠٣هـ.

[١٥] الحموي، ياقوت. *معجم البلدان*. بيروت: دار إحياء التراث، ١٩٧٩م.

[١٦] ابن شبه، عمر. *تاريخ المدينة المنورة*. تحقيق فهيم سلتوت، جدة: دار الأصفهاني (نشر السيد حبيب محمود)، ١٤٠٢هـ.

[١٧] الهذلول، صالح بن علي. *المدينة العربية الإسلامية: أثر التشريع في تكوين البيئة العمرانية*. الرياض: دار السهن، ١٤١٦هـ.

[١٨] الحصين، محمد بن عبد الرحمن. "خصائص البنية العمرانية للأحواش بالمدينة المنورة." *مجلة جامعة الملك سعود* (العمارة والتخطيط) المجلد الرابع، ص ص ٣٧-٩١، ١٤١٢هـ.

[١٩] الحصين، محمد بن عبد الرحمن. "العمارة الإسلامية في المدينة المنورة". *المنهل*، العدد ٥١٩، المجلد ٥٦، جماد الأولى والآخرة، ص ص ١٧٦-١٨٣، ١٤١٥هـ.

[٢٠] الحصين، محمد بن عبد الرحمن. "المناخة: ميدان وسوق المدينة المنورة منذ أربعة عشر قرناً من الزمان." *مجلة جامعة الملك سعود* (العمارة والتخطيط) المجلد السادس،١٤١٤هـ ص .ص ٩٩ - ١٣٤ .

[٢١] نواب، عواطف محمد يوسف. *الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلة مقارنة*. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٧هـ.

[٢٢] البتنوني، محمد لبيب. *الرحلة الحجازية لولي النعم الحاج عباس حلمي باشا الثاني خديوي مصر*، القاهرة: الطبعة الثانية، مطبقة مصر، ١٣٢٩هـ.

[٢٣] رفعت، إبراهيم. *مرآة الحرمين في الرحلات الحجازية والحج ومشاعره الدينية*. القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٤هـ.

[٢٤] Burton, R. *Personal Narrative*. London, 336, 1907.

The Haram of the Prophet's Mosque in Al-Madina: Its Establishment, Expansions, and Effect on It's Urban Surrounding before the Saudi Expansions

Mohammed Eben Abdulla Eben Saleh
Dept. of Architecture and Building Sciences
College of Architecture and Planning, King Saud University
Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract: The construction phases of the Prophet's Mosque in Al-Madina started in an organized and continued manner after the Prophet (PBUH) had specified the location of the Mosque and purchased it from its owners, then ordered that the site be cleaned and prepared for construction. The Prophet (PBUH) ordered that adobe blocks be used. The blocks were brought and the foundations of the mosque were made out of stone. Walls were built by adobe blocks, the roof was made out of palm-tree leafs while most parts of the mosque remained un-roofed, and columns were made out of palm-tree trunks. The Prophet (PBUH) himself built the mosque by his hands joining the Sahaba (his close-attached believers) may Allah be pleased with them all.

In terms of construction, the building method was that of a block and a half. Stone foundations rose up to three arms' length above the ground, and every thing above that was adobe blocks. The roof remained as palm-tree leafs then changed to be made out of interlocked fine palm leafs. When, at one time, the roof fell down because of the rain-fall, they treated it with mud. It is narrated in Al-Maragi book by Ibn Al-Najjar that when the Prophet (PBUH) was asked about the secret behind the way he built the mosque, he said: "Let it be as a simple latticed shade like the one Moses once had, the matter is so temporary to be more". It looks that this was his answer to the Sahaba after they suggested to more strengthen the building, and this was a top example of him in humbleness and modesty.

When the Prophet (PBUH) built the mosque, the Qibla (direction of prayer) was towards Bait Al-Maqdes (the holy mosque in Jerusalem). The mosque had three doors at that time: one in the western direction and was named "Door of Atika" which is nowadays the "Door of Alrahma", the second was in the eastern direction and was named "Door of Othman" which is nowadays the "Door of Gabriel", and the third one was in the southern direction near the Qibla to Bait Al-Maqdes.

After 16 or almost 17 months, the Prophet (PBUH) was ordered by Allah that the Qibla be changed and the direction of prayer to be towards the Holy Ka'aba in Makkah. The Angel Gabriel came to him and uncovered the scene for him and cleared all trees and mountains towards Makkah so that the Prophet clearly sees the Ka'aba, then he said : O' Prophet of Allah, set the Qibla as you see. The Prophet (PBUH) then looked at the direction seeing the Ka'aba , and Gabriel then said : this is it. Then the Angel returned the mountains and the trees, the Qibla became towards the gutter of the Prophets' mosque and the southern door was eliminated afterwards.

The mosque remained in its shape for six years until the seventh year after Higra (the migration of the Prophet to Madina) when Sahaba then asked the Prophet (PBUH) to extend the mosque and he permitted that. In this extension the building became a square shaped (50 x 50 meters), but building materials remained the same : adobe blocks , palm leafs, and palm trunks except that blocks were male and female pieces.

In the following decades, construction and expansion works of the Prophet's Mosque were repeated several times, this happened at the time of khalifa Omar and khalifa Othman (may Allah be pleased with them), then followed by the expansion works at the time of the Omiyyad khalifs, Abbasid khalifs, Mumluk sultans, and Ottoman sultans. During the time of khalifa Othman, stone blocks were used instead of mud ones, Sag wood was used for roofing instead of Palm tree one, marble tiles were used along with mosaics, domes were added, and the area of the Mosque became ten times larger than the area used to be at the Prophet's (PBUH) time.